خطر العقل [illegible]



تأليف

إيفار سپكتور

ترجمة

صالح الشبكشي

أستاذ بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية للفتيات

SOVIET STRENGTH AND STRATEGY IN ASIA

by IVAR SPECTOR

SUPERIOR PUBLISHING COMPANY, SEATTLE

الفهرس

صفحة

تقـديم ٥

الفصل الاول : تعـريف الصحافة السوفيتية ٩

الفصل الثاني : الحصار السلافى ١٩

الفصل الثالث : انسلاخ روسـيا عن الطابع الاوربى ٢٧

الفصل الرابع : تصنيع الاورال وآسيا الوسطى ٣٣

الفصل الخامس : سوء أحوال العمل منذ الحـرب فى الاتحاد السوفيتى ٤٢

الفصل السادس : روسيا والصين : وجوه الشبه بينهما ... ٥١

الفصل السابع : الصين والتيتوية ٥٦

الفصل الثامن : الدفاع المدنى فى الاتحاد السوفيتى ٦٦

الفصل التاسع : الحملة السوفيتية من أجل السلام ٧٢

الفصل العاشر : كوريا : والادعاءات السوفيتية فى الحرب ... ٨١

تقديم

هناك أمور تعتبر أهم بكثير للأمريكيين فى الوقت الحاضر من مجرد تفهم الشعب الروسى وحكومته . ولذلك قام معهد الدراسات الروسية والشرق الأقصى التابع لجامعة واشنطن باحتضان وتنظيم نشر « تراجم الصحافة السوفيتية » منذ ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٦ وذلك لتقديم أوفى قدر ممكن من المعلومات للشعب الأمريكى للوصول إلى الغرض السابق. ولقد كان الدكتور ايفار سبكتور يعمل كمحرر للتراجم المذكورة حتى عهـد قريب . وبذلك أمكنه بحكم واجبه أن يقرأ الصحف والمجلات السوفيتية باهتمام زائد ، باعتباره أحد القلائل ذوى الخبرة الواسعة بهذه الصحف .

والصحافة حتى فى أمريكا ليست أكثر من مجرد محاولات فردية للتعبير عن شعور الشعب الأمريكى وآرائه . ولكى نصل إلى تفسير صحيح للتاريخ يجب أن نضع الحوادث فى أيد حريصة ماهرة وخاصة

أن الباحث فى المجتمع الديمقراطى يجد مساعدة كبيرة عندما يقوم بدراسات تفسيرية ، وذلك لوجود وسائل كثيرة ميسرة للحصول على المعلومات وتحليل الوقائع . أما فى الاتحاد السوفيتى فليس أمام الباحث سوى الصحافة يعتمد عليها أكثر من غيرها . ودخول البلاد هناك أمر ينطوى على كثير من الخطر وحتى إذا سمح بالدخول فلن يجد الانسان إلا فرصا قليلة للتحدث مع الشعب . ولم يهرب من معسكرات الاعتقال فى الاتحاد السوفيتى إلا القليل . وحتى الجرائد الإقليمية هناك ، يحصل الإنسان عليها بصعوبة كبيرة . أما المجلات والكتب فيمكن الحصول عليها ولكن ليس بالسهولة ولا بالكمية التى قد تعودنا عليها . وتعتبر «تراجم الصحافة السوفيتية» أحد المنافذ التى تطل على الاتحاد السوفيتى .

على أن منفذاً واحداً لا يمكن أن يعطينا صورة صحيحة عن المنزل كله ، وإن كان هذا المنفذ فى حد ذاته فريداً فى نوعه ... فالباحث الذى تولى وضع هذا البحث وتحليل الأوضاع السائدة فى الاتحاد السوفيتى وضع نصب عينه الدور الفريد الذى تلعبه الصحافة هناك . فهى لسان لحزب سياسى احتكارى . وقد تكون هذه الصحافة دليلا جيداً لما يعتقده الديكتاتور فيما يجب أن يعرفه الشعب ولكنها فى نظر المحلل المدقق تكشف عن حالة الرأى العام ، إذ أن هذا الرأى لا يمكن استنباطه إلا عن طريق تحليل ودراسة معاملة الحكومة للشعب .

هذا وقد أوردنا فى هذا الكتاب « خطر العقل الروسى » نموذجاً

لما تتحدث به الحكومة السوفيتية عن الأمور الهامة فى الاتحاد السوفيتى وفى العالم فى الوقت الحاضر . ولقد ذهب الدكتور سبكتور أبعد من هذا فيما قد جمعه من معلومات فى هذا الكتاب . فقد أمكنه أن يشعر بالشعور الروسى نحو الصحافة السوفيتية لإلمامه التام باللغة الروسية وأخلاق شعبها . وقد كان هذا من الأسس اللازمة وفقاً لطريقته الخاصة فى تحليل الأشياء . وسيجد القارىء فى هذا الكتاب كثيراً من المعلومات المفيدة والتفسيرات الحديثة . على أن مسئولية الوقائع والآراء الواردة فيه تقع كلها على الدكتور سبكتور .

جورج ا. تيلور

مدير معهد الدراسات الروسية والشرق الاقصى

جامعة وشنطن

الفصل الاول

تعريف الصحافة السوفيتية

ليست الصحافة السوڤيتية صحافة حرة . كما أنها ليست مشروعاً تجارياً بالمعنى الذى نفهمه من هذا الاصطلاح ، فهى تخضع خضوعاً مطلقاً لسلطان الحكومة السوڤيتية والحزب الشيوعى . كما تخضع فى ذلك جميع المجلات والكتب التى تنشر فى الاتحاد السوڤيتى .

وقد ذكر رئيس تحرير صحيفة براڤدا فى مقال له فى ٥ مايو سنة ١٩٤٩ عنوانه « الصحافة البلشفية سلاح حزبنا الماضى » أن هناك ٧٢٠٠ صحيفة تنشر فى الاتحاد السوڤيتى ، وأن مجموع ما توزعه هذه الصحف يبلغ ٣١ مليون نسخة لا يصدر منها إلى الخارج سوى عدد صغير من الصحف الكبرى . إذ أنه لا يقبل من الأجانب الاشتراك فى الصحف المحلية أونشرات القوات المسلحة السوڤيتية أو الدفاع المدنى . وقد كان الإتجاه السائد فى السنة الماضية هو التضييق فى انتشار الصحف السوڤيتية فى البلاد الأجنبية لا التوسع فيه .

وتعتبر جريدة « ازفستيا » مثلا للصحافة السوڤيتية ، فهى تعبر عن رأى الحكومة السوڤيتية وسياستها المدنية تعبيراً صادقاً لأنها الصحيفة الرسمية للحكومة ، وهناك عدا جريدة ازفستيا صحف أخرى هي « براڤدا » صحيفة الحزب الشيوعى و « ترود » صحيفة العمال ، و « ليترارى جازيت » الأسبوعية وهى — كما يدل عليها اسمها — الصحيفة التى تنطق بلسان الكتاب السوڤيتين ، و « بلشفيك » النصف شهرية وهى صحيفة المكتب السياسى « البوليتبيرو » (Politburo) ، و « أوجـونيوك » وهى صحيفة أسبوعية مصورة متداولة تعتبر مزيجاً بين مجلتى « لايف » ، « ساتردای ایفننج بوست » ، و « كروكودايل » ، وهى على غرار مجلة « بانش » الانجليزية الفكاهية . وإذا كانت الأحوال عادية فان أعـداد الاشتراك من صحيفتى براڤدا وازڤستيا تصل إلى مكتبة جامعة واشنطن بالبريد الجوى فى اليوم الخامس من تاريخ ظهورهما .

وأول شىء يجب على الباحثين معرفته عن الصحافـة السوڤيتية هو أن الوظيفة الأساسية هذه الصحافة هى تشكيل الرأى العام بدلا من أن تكون مرآة ينعكس عليها هذا الرأى . وقد جاء بالعدد السادس من صحيفة « بولشفيك » فى مارس سنة ١٩٥٠ عبارة حديثة موثوق بها عن الصحافـة — كما يفهمها أعضـاء المكتب السياسى (البوليتبيرو) (Politburo) — فى مقال عنوانه « تقوية الزعامة الحزبية فى الصحافة المحلية » . وتقول هذه العبارة « إن الصحيفة تربى القارىء تربية فكرية

ولذلك ينبغى على القارىء أن يعتبر كلماتها كلمات الحزب المقدسة . فهى تريه كيف يسلك وكيف يعمل وترسم له كيف يعيش وكيف يرتزق » .

وأهم ما يسترعى نظر أى قارىء معاصر تعود رؤية الصحف ذات الصفحات العـــديدة ، حجم الجرائد السوفيتية اليومية التى يحظر عليها أن تزيد عن أربع صفحات إلا فى مناسبات خاصة ، فلا ينتظر من هذه الصحف أن تنشر آخر الأخبار أو الحوادث الهامة فى الصفحات الأولى ، الأمر الذى يضلل أحياناً المتتبعين للصحافة الروسية . ولهذا يمكن القول إن القارىء السوفيتى العادى فى مقدوره قراءة الصحيفة من أولها إلى آخرها .

وبالرغم من النمو الصناعى المتزايد فى الاتحاد السوفيتى ، فان الصفحات الأولى فى الجرائد السوفيتية اليومية تحوى أخبار فصول السنة . وبدلا من أن تحوى آخر الأخبـــار الهامة عن أحاديث وزير خارجية أمريكا مثلا أو عن النجاح المحقق الذى أصاب مشروع مارشال ـــ وعادة ما تنشر فى الصفحة الرابعة ـــ فان القارىء كثيراً ما يجـــد فيها أخباراً عن المحصولات الجديدة التى أدخلت حول مدينة « منسك » مثل البنجر والسكر أو عن الفلاحين فى ناحية ما فى أوكرانيا أو سيبيريا وكيف نجحوا فى تربية نوع من الخنازير أو الخيول يمتاز عن نوعها فى السنة الماضية . ومن الأمثلة على ذلك أنه قد كتب فى أعلى الصفحة



اهم ما يسترعى النظر فى الصحافة الروسية هو حجم الجرائد اليومية التى يحظر عليها ان تزيد عن أربع صفحات

الأولى من جريدة برافدا فى ٢١ مايو سنة ١٩٥٠ مقال صغير عن بناء أول مدينة من نوعها فى ازبجستان ، وهى امتداد للمزرعة الجماعية « للمليونير » كاجانوفتش والتى قامت ببناء قصر للثقافة وملعب رياضى ومدرسة ورياض للأطفال وعمليات للمياه وغيرها .

والقارىء الروسى سواء فى عصر السوفيت أو فى عصور القياصرة يفضل عادة قراءة المقالات الافتتاحية والأحاديث . ولذلك فان الصحافة السوفيتية تمده بغذاء مستمر منها مع مقال طويل لرئيس التحرير يجده القارىء عادة على الصفحة الأولى . وفى أيام انعقاد الأمم المتحدة فانه من القاعدة ، وليس من الشاذ ، أن نجد أن أحسن جزء من إحدى الصفحات الداخلية يكرس لنشاط هذه الهيئة أو للأحاديث التى يلقيها « فيشنسكى » و « مانويلسكى » أو « ماليك » أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من الشعب الروسى قد أصبح متعلما الآن فان الصحافة السوفيتية لا تبذل جهداً فى النزول إلى مستوى قرائها . فقد أصبح من العادات اللازمة لايفان ابفانوفتش الكتابة فى موضوعات علمية أو فنية على صفحات الصحف — وفى عدد ١٦ مايوسنة ١٩٥٠ من صحيفة برافدا مثلا خصصت الصفحتان الاضافيتان لتحليل طويل لقواعد المرحوم العالم السوفيتى ن . ى . مار فى اللغة السوفيتية .

ولما كانت الصحافة ليست مشروعاً تجارياً .فان القراء لا يتوقعون وجود إعلانات من أى نوع فى الصحف اليومية . على إن اجونيوك الأسبوعية قد خرجت حديثاً عن المألوف فنشرت إعلانات عن الكافيار والحبوب الجديدة والتأمينات ، وحتى فى مثل هذه الأحوال فان الاعلانات تعتبر عملا شاذاً لا قاعدة . أما الجرائد اليومية فانها تنشر برامج الإذاعة وروايات المسارح وإعلانات عن المحاضرات العامة فى بعض الأحيان .

ومن هنا فان الروسيين الذين يقرأون الصحف الأمريكية محقون فى إبداء دهشتهم عندما تفاجئهم هذه الصحف بأخبار الحوادث والجرائم وحالات الطلاق والزواج وغيرها من أخبار المجتمع . كذلك يدهشون عند رؤيتهم قسما خاصاً بالرياضة يحتل جزءاً كبيراً من صحفنا اليومية . فمثل هذه الموضوعات أهملتها الصحافة السوفيتية فهى لا تنشر إلا أنباء مختصرة عن النواحى الرياضية الأخرى مثل مباريات الشطرنج أو كرة القدم . وإذا ما أرادت المرأة الروسية أن يظهر اسمها على صفحات إحدى الجرائد السوفيتية فعليها أن تبلغ رقما قياسياً فى إنتاجها فى المزارع أو المصانع أو فى النواحى العلمية .

ولما كانت الحكومة والحزب الشيوعى يسيطران على الصحافة السوفيتية فانه لا توجد صحف خاصة حرة ، ومن هنا كان من الطبيعى ألا نجد أى نقد يوجه إلى الحكومة أو إلى سياستها سواء أكانت خارجية

أم داخلية ، وبهذه الوسيلة تعتبر كل من الحكومة والحزب الشيوعى بمنأى عن الخطأ . على أنه من الجائز أن يوجه النقد إلى موظفى الحكومة الذين أساءوا استعمال سلطتهم . أما إذا كانوا من كبار الموظفين فمثل هذا النقد لا بد أن يأتى من قادة الحزب . وبعبارة أخرى فان وزير خارجية روسيا مثلا لا يمكن أن يوجه إليه أى نقد فى روسيا مثلما يوجه إلى وزير خارجية الولايات المتحدة فى الصحافة الأمريكية .

ونحن إذ نرى أن الصحافة السوفيتية ليست مطلقة الحرية ، فانه يوجد هناك صمام أمن يعرف « بالنقد » . والنقد الذاتى له قيمته التى يؤكدها الحزب بصفة مستمرة . فهو يعطى الفرصة للمواطنين السوفيتيين المتبرمين لينفسوا عن أنفسهم ، أو يكشفوا عن التقصير فى إدارة المصانع أو المزارع أو الانحراف عن الطريق السوى للحزب . كما يعطى الفرصة للمخطئين للاعتراف بأخطائهم على أمل ألا يعودوا إليها ثانية بمنحهم فرصة أخرى .

وقد أصبح النقد الذاتى لوناً ثابت الأركان من ألوان الصحافة السوفيتية فى الوقت الحاضر ، ولذلك فانه من المتوقع دائماً أن تنشر الصحف بعض الشكاوى الخاصة عن المزارع الجماعية فى منطقة خاصة لأنها تخلفت فى زرع أو حصد محصولاتها ، وعن مديرى المصانع الذين يسمحون بقيام أعمال غير منتجة فى مشروعاتهم ، وعن المدرسين الذين لا يعطون عناية كافية للتعاليم الماركسية — اللينينية فى فصولهم أو

فى مؤلفاتهم ، وكذلك عن شركات الخشب أو غيرها من المشروعات التى لم تؤد نصيبها فى مشروع ستالين للسنوات الخمس . وقد عمدت جريدة « سوشياليست اجريكلتشر » اليومية فى يناير الماضى إلى ترتيب المزارع الجماعية فى الأقاليم المختلفة — المتفوقة منها فى إصلاح الجهاز الزراعى والمتخلفة فيه .

أما من حيث وجود حـــدود لمثل هذا النقد ، فان ذلك واضح فى أغلب الأحيان ، فقـــد فرق الكاتب السوفيتى المعروف كونستانتين سيمونوف — وهو من الكتاب الذين نفدت مؤلفاتهم منذ مدة ليست بالطويلة — بين النقد البنائى والنقد الهدام وذلك فى مقال طويل نشره فى العدد الثالث من جريدة « بولشفيك » فى سنة ١٩٥٠ ، وطلب فيه من النقاد أن يشيروا إلى الجيد وغير الجيد من الكتب السوفيتية وأن يذكروا كيف يمكن لمؤلفيها أن يصلحوها ويخلصوها من الشوائب .

وقد وجدت مجـــلة « كراكودايل » التى صـــدرت فى نوفمبر سنة ١٩٤٩ فرصة لتوجيه السخرية إلى الاعترافات العديدة التى وردت فى سيول النقد الذاتى ، فروت بصدد إجابتها عن سؤال سأله أحد النقاد عن السبب الذى من أجله أعدم مواطن بذاته اسمه سيميون سيميونوفتش — روت كيف أن الجهة الادارية التى يتبع لها هـــذا المواطن قد اعترفت أخيراً بخطئها وهو أنها كانت تعفو دائمـــاً عن خطئه . وغالباً ما تهـــدف معظم الرسوم الكاريكاتورية فى المجـــلة

المذكورة إلى السخرية من الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة من مشروع مارشال ، وول ستريت ، وحلف الاطلنطى ونظام الحكم الأمريكى . أما توجيه النقد المباشر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الديمقراطيات الغربية فى الصحف السوفيتية فهو أمر مأمون العواقب جداً ، بل إن الخروج عن هذه السياسة هو فى الحقيقة أمر شائك .

وكانت شخصية ستالين تحتل مكاناً خاصاً فى الصحف السوفيتية . فاذا لم تظهر صورته على الصفحة الأولى من الصحف أو المجلات فلابد أن نجد بدلا عنها أخباراً كثيرة تظهر اهتمامه برعاية الشعب وتشجيعه التقدم العلمى والفنى . كذلك نجد مقتطفات من أحاديثه وكتاباته ، حتى المؤلفات العلمية التى تقوم بنشرها الأكاديمية العلمية السوفيتية أصبحت تحوى بعض التقدير لما ساهم به ستالين من أعمال ، كما تحوى بعض فقرات من كتاباته قصد بها تعزيز هذه المؤلفات . وفى الحفل الذى أقيم بمناسبة بلوغ ستالين سن السبعين فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٩ كان المديح الذى وجهه الكتاب والشعراء إلى ستالين ووصلوا به الى حد العبادة قد بلغ أفقاً جديداً عالياً على صفحات جميع الصحف السوفيتية .

ولما كانت صحيفة « ازفستيا » هى اللسان الرسمى للحكومة ، فان كل ما ينشر بها يعتبر رسمياً . أما جريدة براقدا لسان الحزب الشيوعى فهى القوة التى تكمن وراء رياسة الاتحاد السوفيتى لأنها تهيىء الشعب الروسى للاتجاهات الفكرية والسياسية التى يريد قادة روسيا أن

يغرسوها فى نفوس السوفييت ، وقد يكون الصحفيون الذين يعملون فى جريدة « برافدا » من خيرة الصحفيين الروسيين . وإذا صح أن نصف جريدة « ازفستيا » بأنها لسان حال الحكومة السوفيتية ، فان « برافدا » هى لسان حال الحزب الشيوعى .

وفى هذه المناسبة يجب أن نلاحظ أن الاتجاهات التى تروج لها كل من براڤـدا وازڤستيا فى أى موضوع تصبح بمثابة اتجاهات نموذجية تترسم خطاها جميع الصحف والمجلات فى الاتحاد السوفيتى . فمثلا إذا ما أصبحت آراء ونظريات كل من العالمين متشورين وليزنكو فى علم الحياة رسمية نشرت كل صحيفة مقالات لهذين العالمين .

وعندما خصصت براڤدا عدد ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ لذكرى مرور ١٥٠ عاما على وفاة الجنرال سيفرڤو الذى حارب الجيوش الفرنسية فى إيطاليا وسويسرا ، نشرت كل صحيفة أخرى أخباراً عن سيفرڤو حسب ميولها وطريقة تناولها للموضوعات .

وفيما يتعلق بالتعديلات التى تطرأ على اتجاهات الحزب الشيوعى ، فان المرء يدرك ذلك بسهولة من خلال الصحف السوفيتية . ومن هنا فى وسعنا أن نتبين من المقالات والأخبار العديدة التى نشرت فى الصحف العلمية والعادية فى الاتحـــاد السوفيتى فى الشهور الأخيرة عن الشرق الأقصى مدى رغبة الحكومة السوفيتية فى خـــلق وعى أسيوى ونشره بين الشعب السوفيتى .

الفصـــل الثانى

الحصـــار السلافى

بالرغم من أن الاتحاد السوفيتى قام فى السنوات التى سبقت الزحف النازى عليه بمجهودات لا مثيل لها لكسب الأقليات السوفيتية وجعلها خاضعة له تمام الخضوع كما كان حالها أيام حكم القياصرة ، فان الحرب الثانية أثبتت أنه لم ينجح فى ذلك تمام النجاح . فى الفترة الأولى من الحرب هرب عدد كبير من المقاتلين السوفيتيين ومن المدنيين أيضاً إلى ألمانيا . ولم يكن ذلك مقصوراً على بعض الشعوب غير السلافية التى تنتشر على طول بحر البلطيق وفى القوقاز وحدها وإنما شمل كثيراً من الأوكرانيين أيضاً .

على أن الصحافة السوفيتية ــ وقد أكدت هذه النقطة فى مناسبات مختلفة ــ زعمت أن الشعب الروسى الأصلى هو الذى تحمل العبء الرئيسى فى الحرب وهزم الألمان المعتدين .

وكان واضحاً خلال الحرب العالمية الثانية أن الألمان ووجهوا بمقاومة

عنيفة فى المعاقل التى تخضع للروس الأصليين ، ولكنهم كانوا لا يلقون مثل هذه المقاومة العنيفة وهم يزحفون فى منطقة البلطيق وأوكرانيا والقوقاز . وعلى الرغم من أن الحكومة السوفيتية لم تهاجم مثل هذه الأقليات ، إلا أنها أخذت حذرها فنقلت سكان الجمهورية الألمانية المستقلة التى أخذت فى الازدهار على نهر الفولجا إلى سيبيريا وملأت تلك المنطقة بالروس الأصليين . وذلك عندما تقدم الألمان نحو ستالينجراد فى سنة ١٩٤٢ .

وقد ظلت هذه العملية مستمرة منذ الحرب العالمية الثانية ولكن على نطاق واسع . فأقيم حصار سلافى من الروس الأصليين حول الأقليات السوفيتية التى تقع على الحدود الروسية وخاصة فى روسيا الأسيوية وذلك عندما أخذت الحرب الباردة فى الاتساع .

وقد كان اهتمام الاتحاد السوفييتى موجها فى بادىء الأمر إلى الجمهوريات الأسيوية الوسطى وهى المنطقة الضعيفة فى الاتحاد السوفيتى والمعرضة للغزو من الشرق الأوسط والتى تؤدى مباشرة إلى المصادر الحيوية للبترول السوفيتى وإلى منطقة الأورال الصناعية الهامة .

وتقول الصحافة السوفيتية إن العناصر السلافية فى بعض هذه الأقاليم تفوق المواطنين الأصليين عدداً . فقد أدخل عليها عدد كبير من الروس الأصليين بحجة مساعدة الأهالى فى الرقى بالصناعة ومشروعات الرى والمناجم .

وبلى الحدود الأسيوية الوسطى فى الأهمية ، المنطقة المكشوفة من البلطيق فى أوربا والجبهة المنغولية فى آسيا . فبعد انتهاء الحرب الثانية وحينما كان من المتوقع أن تحل الصين الوطنية بزعامة شيانج كاى شيك محل اليابان وأن تصبح جارة للاتحاد السوفيتى مع ما بينهما من صداقة ينقصها الود ، فان الحكومة السوفيتية وجهت اهتمامها إلى اقليم بوريات منغوليا (Puryat Mongolia) واقليم منغوليا الخارجية والمستقلة اسمياً . فلجأت إلى نفس الخطة بأن أدخلت فيهما العنصر الروسى الأصلى ، لدرجة أن مدينة أولان – باتور (Ulan-Pator) أصبحت تشبه المدن الروسية وذلك حسب ما ذكرته الصحف السوفيتية عام ١٩٤٩ . فسار التعليم والتقدم فى منغوليا فى نفس الاتجاه السوفيتى . وفى عام ١٩٤٩ ترسمت منغوليا خطى روسيا فى كل شيء حتى فى حروفها الأبجدية . وعمد الاتحاد السوفيتى إلى إغراء كثير من المنغولين بأن أجزل لهم العطاء وأسرف فى الآمال الخداعة ليهاجروا من داخل الحدود السوفيتية ومنغوليا الخارجية إلى البلطيق فى الغرب وذلك ليحلوا محل العناصر غير الموالية التى أبعدها السوفيت خارج الحدود . ومما يجدر ذكره أن الفرق المنغولية قامت بخدمات كثيرة خلال ١٩٤١ فى دفاعها عن موسكو .

والأمر الذى جعل الرعب يسرى فى نفوس جميع الأقليات السوفيتية هو الإجراء السوفيتى السريع الذى اتخذ عقب الحرب بنقل جميع

العناصر التارتارية (Tartor) فى إقليم القـــرم (Crimea) إلى سيبريا ، وكانوا قد تعاونوا مع الألمان خلال الحرب . وقد احتلت هذه المنطقة عن آخرها بالعنصر الروسى . ويقال الآن إن إقليم القرم أصبح روسياً تماماً كمدن الأورال والكورسيك . وهذا الإجراء السوفيتى الشاذ لا بد أن يكون قد أودى بحياة الكثيرين نظراً للاختلاف الشديد بين مناخى اقليم القرم الشبيه بالمناطق الحارة وسيبريا الشديدة البرودة .

ومنذ عام ١٩٤٧ وجهت الحكومة السوفيتية اهتماماً كبيراً إلى سكان شبه جزيرة تشوكتسك وما أحرزوه من تقدم . وهى تقع عبر مضيق بيرنج (Bering Strait) من الاســكا . وقـــد ظهرت أول دلالـــة حقيقية لمدى هذا النشاط حينما أعلنت صحيفة «ترود» العمالية فى ٦ فبراير عام ١٩٤٧ وبدون مقدمات عن الحاجة إلى مهندسين وفنانين وأطباء ومدرسين وأمناء للمخازن وعمال للمناجم وغيرهم للعمل فى تشوكوتكا، كوليما وحددت مكاتب خاصة لاستقبال الطلبات فى مختلف الجهات فى الاتحاد السوفيتى . (عن تراجم الصحافة السوفيتية ــ مجلد رقم ٢ ــ عدد ٨ ــ ٣٠ ابريل ١٩٤٧)

ومما له دلالة كافية أن الاعـــلان لم يظهر فى صحيفتى البرافـــدا والازفستيا الواسعتى الانتشار بين أوساط الصحافة الأجنبية وإنما نشر فى « ترود » ذات الانتشار المحدود .

وبغض النظر عما إذا كانت الحكومة السوفيتية مدفوعة إلى حد ما

برغبتها فى تنمية مصادر المعادن التى لم تمسسها الأيدى فى هذه المنطقة أو بأى دافع آخر ، فان الدافع الحقيقى هو إيجاد عنصر سلافى كبير فيها يستطيع الدفاع عنها فى أى وقت .

وقد أخذ العنصر السلافى فى الازدياد فى شبه جزيرة كامتشكا مثلما ازداد فى جـزر كوريل (Kurile) . وكذلك أخـذت المستعمرات السلافية مكانها على طول نهر أمور (Aumr) . وقد وجه اهتمام خاص إلى سخالين الجنوبية بعد جلاء اليابانيين عنها لدرجة أن تدفق العنصر الروسى وحتى الأوكرانى إليها كان موضوعاً أسهبت الصحف السوفيتية فى الكتابة فيه وأخرجت عنه أكثر من رواية . وكان هذا التدفق نتيجة لتشجيعهم بالحصول على مزايا لا يمكن الحصول عليها فى الأراضى الروسية الأصلية مثل لإعفاء من الضرائب لمدة عشر سنوات .

وكان من بين هذه الروايات رواية « فجر جديد » التى كتبها الكسندر نشيكوفسكى ، ونشرت مسلسلة على أجزاء فى مجلة زناميا الأدبية (الاعداد ٩ ، ١٠ ، ١١ لعام ١٩٤٩) وكان موضوعها الأساسى يدور حـول الصراع القائم بشأن الاسكا بين عالمين — الأول رمز له بالعلم الأحمر ، والآخر رمز له بالنجوم والأشرطة . ومما يجدر ذكره أنه فى الوقت الذى لم يثق فيه الاتحاد السوفيتى بالأوكرانيين فى محاربة الألمان فى أوروبا ، وثق بهم فى محاربة اليابانيين فى سخالين .

ومما ينبغى ملاحظته أن الحصار السلافى ليس مقصوراً على الاتحاد



ليس الحصار السلافى مقصورا على الاتحاد السوفيتى فحسب .. ففى كل دول أوروبا
الشرقية تشكيلات شيوعية شعبية ينتظر منها دائما ان تقدم العون لروسيا اذا نشبت
حرب جديدة ... وهذه بعض تشكيلات الشبيبة الشيوعية فى المانيا الشرقية

السوفيتى فحسب . إذ أن الأقاليم السلافية التى تسير فى فلكه من أقاليم أوزبا الشرقية والبلقان تقع على حدوده المتطرفة فى الغرب . وهذه العناصر السلافية قد ينتظر منها أن تقدم العون للاتحاد السوفيتى فيما لو تجدد العدوان الألمانى . وفى الوقت نفسه فان وجود الجيوش السوفيتية والخبراء العسكريين السوفييت قد قصد به أن يكون بمثابة ضمان لعدم سيرهم فى الطريق التى سار فيها تيتو ، هذا بالاضافة إلى أنه يمكن التأكد من أنه فى حالة قيام أية ثورة على حدود هذا الستار بتشجيع من العناصر المحلية أو الأجنبية فان الحكومة السوفيتية تستطيع إخمادها بغير رحمة ، بل قد تؤدى فى آخر الأمر إلى تبادل السكان على نطاق واسع . وفى هذه الحالة ينبغى على الأمريكيين الذين يشجعهم المنفيون والهاربون من دول الستار الحديدى التى تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى — وهم الذين يبذلون قصارى جهدهم باخلاص شديد لتحرير هذه الدول من سيطرة روسيا على غرار ما فعله تيتو — أقول ينبغى عليهم أن يستعدوا لمجابهة ما قد تتخذه الحكومة السوفيتية من إجراءات شديدة قد تترك هؤلاء التعساء فى حالة أسوأ بكثير مما كانوا عليه من قبل .

والآن أصبح من الواضح أن العنصر الروسى فى الاتحاد السوفيتى ويبلغ تعداده ١٠٠ مليون نسمة قد قبض على الدولة بصفة عامة بيد من حديد وأنه قد أقام ستاراً حديدياً حول الجبهات المتطرفة

للاتحـــاد السوفيتي لحمايته من التهديد الخارجي أو القلاقل الداخلية .

وغني عن البيان أنه ينبغي على خبرائنا العسكريين والاستراتيجيين أن يضعوا في حسبانهم دائماً مغزى نقل السكان على نطاق واسع لتحرير بعض المناطق من الأقليات السوفيتية وإخضاعها للروسيين الأصليين .

الفصل الثالث

انسلاخ روسيا عن الطابع الأوروبى

تظهر لنا دراسة الصحافة السوفيتية دراسة دقيقة أن ما يجرى اليوم فى روسيا هو عملية انسلاخ تدريجى عن الطابع الأوروبى . وسواء أكانت هذه العملية قد نشأت نتيجة للحرب الباردة الناشبة بين معسكرى الغرب والشرق أم نتيجة لاتجاه الوعى السوفيتى الحديث نحو الصين أم نتيجة لخليط من الأمرين ، فان كل ذلك غير هام . إذ أن هذا الانسلاخ بصرف النظر عن الدوافع التى تكمن وراءه تكاد تظهرآثاره فى جميع نواحى الحياة الروسية .

وقد كان الانتماء إلى الطابع الأوربى فى نظر الطبقة المتعلمة — باستثناء بعض السلافيين المتطرفين — معناه التقدم والتمدين ، وذلك أيام حكم القياصرة وخلال الأيام الأولى من الثورة البلشفية . أما اليوم فان أى شىء يحمل طابع المدنية الغربية أو ثقافتها يعتبر عملا محرماً .

ولما كانت العلوم الروسية تربطها بالغرب ارتباطات وثيقة . فانه يمكن القول إن العلماء الروس أصبحوا من ضحايا نزعة الكراهية لكل شيء أوروبي بصرف النظر عن ميادين تخصصهم . فأولئك الذين يؤلفون الكتب منهم مفروض عليهم أن يتجنبوا — ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا — استعمال الكلمات التي لها أصل أجنبي (غربي) إذا ما أرادوا اتقاء شر النقد المرير من الصحافة ، ومن بين الأمثلة الصارخة على ذلك ما حدث لمؤلفين في الأدب الروسي. كتب أحدهما زرتشانينوف بورفيريدوف . وكتب الآخر كواوكلتسيف ، ليثفينوف ، وقد ظلت المدارس التربوية السوفيتية تستعملهما بنجاح لبضع سنوات . ولكن الطبعة الثانية منهما استهدفت للنقد اللاذع لأن مؤلفيهما اقتبسا من بعض المراجع الغربية واستخدما بعض المصطلحات الغربية .

وعلى العكس من ذلك ، ألف كاتب آخر اسمه ب. ا. ريباكوف في عام ١٩٤٨ مجلداً كبيراً (يقع في ٧٩٢ صفحة وبه ١٤٤ شكلا ايضاحياً) في « الفنون والمهن في روسيا القديمة » يعتبر الآن نموذجاً للكتاب السوفيتيين ، إذ أنه استخدم في ذلك الكتاب كلمات روسية لم تكن موجودة من قبل ، دون أن يستخدم المصطلحات الأوروبية ولا نكون مخطئين إذا قلنا إن هذا الكاتب الروسي قضى من الوقت في انتقاء وصياغة الكلمات والمصطلحات الروسية مقدار ما قضاه في تأليف المجلد نفسه .

ومن المصادفات أن التوسع في المصطلحات الأجنبية التى أدخلت على اللغة الروسية خلال المشروع الأول للسنوات الخمس نتيجة انتشار الصناعة قد بدأ يأخذ الصبغة الروسية بسرعة . مع أن الباب قد ترك مفتوحاً أمام إدماج الكلمات التى من أصل اسيوى وخاصة آسيا الوسطى .

وقد انبرى الناقد المحدث البرفسور ا. اجايان فأوضح إلى أى حد بلغت هذه النزعة إلى الانسلاخ من الطابع الأوربى ، وذلك بأن أبدى تشككه فى الأصل الهندى الأوربى للغة الاتحاد السوفيتى عندما نادى بالنقاوة المثالية للغة السوفيتية . فقد كلف العلماء الروس والغربيين سنين طويلة لإثبات أن اللغة الروسية هى لغة هندية أوروبية الأمر الذى يرفض قبوله المثاليون السوفيتيون بشدة باعتباره تضليلا برجوازيا .

ومن جهة أخرى فان اللغويين السوفيتيين أشاروا أخيراً إلى أن اللغة الروسية هى فى أساسها لغة الروس الأصليين ، وأنها تشترك فى معظم ألفاظها مع اللغات الأسيوية أكثر مما تشترك مع اللغات الأوروبية.

وقد نشر ستالين مقالا فى صحيفة برافدا عنوانه « حول الماركسية فى علوم اللغات » وذلك فى ٢٠ يونيه سنة ١٩٥٠ أى قبل العدوان على كوريا الجنوبية مباشرة .

وكان هذا المقال ضربة أطاحت برأس المرحوم ن. ى. مار الذى كان من فطاحل علماء اللغة السوفيتيين فى زمانه . والعبارة المأثورة

التي صاغها ستالين فى سنة ١٩٣٠ بالانجليزية الدارجة والتي تقول إن البرنامج التعليمي الكلي فى الاتحاد السوفيتي يجب أن يكون «وطنياً فى شكله شيوعياً فى موضوعه» تنطبق الآن على العلوم اللغوية . فقد ثبت بعد البحث الدقيق أن رسالة «مار» كانت عالمية شيوعية الشكل ولكنها وطنية فى الموضوع ، وهى تعتبر لذلك مضللة خاطئة .
ولا شك أن تصريح ستالين قد خطا خطوة أخرى نحو عملية الانسلاخ عن العلوم الغربية . ففى صيف سنة ١٩٥٠ لم يسلم أحد من السخط الشديد حتى السياح السوفيتيين بسبب استعمال الألفاظ الأوروبية مثل «الرفييرا الروسية» أو «سويسرا الروسية» عند تسميتهم أماكن الشهرة (الجازيت الأدبية فى ٢٢ يوليه سنة ١٩٥٠) .

وقد شكت هذه المجلة من أن «أحداً لم يمتدح حتى الآن جمال شواطىء بحيرة بيكال (Baical) وضفاف نهرى لينا ، وينيسى اللذين يتضاءل أمامهما جمال أوروبا» .

وتقوم الصحافة السوفيتية اليوم بخلق وعى أسيوى فى نفوس الروس بطريقة يعجز الأمريكى العادى عن بلوغها . فقد تدفقت سيول الكتب والمقالات والنشرات التي كتبتها الصحافة السوفيتية عن آسيا وخاصة عن الصين وحتى المجلات الأكاديمية المتعمقة ، والتي تصدر كل ثلاثة أشهر ، أخذت تتحدث كثيراً هى الأخرى عن آسيا .
وكان من بين المطبوعات الأكثر بروزاً كتاب ظهر ألفه س . ف .

كيزيليف عن « تاريخ سيبريا الجنوبية القديم » ، قد يكون له أثره الكبير فى عملية الانسلاخ عن الطابع الأوروبى وعلى الخصوص فى كيف يمكن لهذا الانسلاخ أن يتم على مستوى عال . وكان هذا التاريخ كما يدل عليه عنوان الكتاب يتناول بوضوح أحوال سيبريا الجنوبية فى العصور الغابرة . ولكنه فى الحقيقة يذهب إلى أبعد من ذلك . فهو يحاول إبراز أوجه التشابه بين تاريخ المجتمعات القديمة وتقدمها فى روسيا وآسيا . ويستعمل هذا الكتاب الآن فى جميع الكليات والجامعات فى طول الاتحاد السوفيتى وعرضه . وزيادة على ذلك فان هناك كتاباً آخر تحت الطبع عن الترجمة إلى اللغة الصينية . ولا شك أن هذا الكتاب سوف يكون له أثره فى تشكيل تفكير الطلبة الصينيين .

أما من حيث فكرة هل يغزو الاتحاد السوفيتى أوروبا الغربية غزواً طبيعياً فان الزمن وحده يملك الاجابة على ذلك . ولكن هناك شيئاً واحداً واضحاً يمكن إدراكه مما تنشره الصحافة السوفيتية ، وهو أن روسيا فى طريق الانفصال الروحى عن أوروبا وعن كل ما يمت إلى المدنية الغربية بصلة . فهى فى الوقت الحاضر تربط مستقبلها بآسيا وخاصة بالصين الشيوعية الخاضعة لحكم ماوتسى تونج .

هذا ولا يزال من العسير الحكم على مصير الأثر الكلى للعلاقة الجديدة نحو الصين . إذ أن التاريخ يوضح لنا أنه كلما اتبعت روسيا سياسة العزلة نحـــو الغرب (Vis à Vis) فان هذه السياسة تسفر

عن رد فعل فى البلاد فتزداد ســطوه الحكم الديكتاتورى الجماعي . وهى حالة لم تكن من الوضوح مثلما هي واضحة اليوم .

وقد تنافس المؤخون والروائيون الروس فى السنوات الأخيرة فى المقارنة بين ستالين وبطرس الأكبر ، ومن أحسن الأمثلة التى يعرفها الباحثون فى هذا الصدد فيلم سيرجى « ايز نشتاين » عن بطرس الأول والذى استمد حوادثه من الرواية التاريخية المعروفة بهـذا الاسم والتى كتبها « الكسى تولستوى » . على أن الدراســة الدقيقة للصحافة السوفيتية منذ اشتعال الحرب الثانية توحي بأنه بينما قام بطرس الأكبر ليضفى على روسيا الطابع الأوروبى بكل وسيلة ممكنة فان ستالين عمـد إلى تجريد الاتحاد السوفيتى من هذا الطابع .

الفصل الرابع

تصنيع الأورال وآسيا الوسطى

تعتبر الكلمة التى قالها جوزيف ستالين فى يونيه عام ١٩٣٠ فى المؤتمر السادس عشر للحزب الشيوعى العام (البولشفيكى) مستنداً تاريخياً فى الوقت الحاضر ، فقد كان أول ما أوصى به فى تلك الكلمة حينذاك هو إنشاء قاعدة جديدة لاستخراج الفحم وتنقيته فى سيبريا حتى يتسنى لها أن تصبح على قدم المساواة مع نظيراتها فى دونباس أوكرانيا أو تفوقها . وقد أبدى ستالين سببين لمثل هذا البرنامج . الأول هو أن إنتاج القاعدة فى دونباس لم يصبح من الكفاية بحيث يفى بجميع الحاجات التى رسمها مشروع السنوات الخمس . والآخر هو أن الاتحاد السوفيتى كان فى خلال الحرب فى حاجة إلى قاعدة صناعية بعيدة عن متناول العدو .

وفى خلال السنوات القليلة التى تلت ذلك أقيمت هذه القاعدة

الجديدة لتنقية الفحم . وكانت مراكزها الرئيسية فى كوزنتسك ، وماجنيتوجورسك . وأثبتت بسرعة قيمتها فى الحرب العالمية الثانية . وقد قال ف . ميخائيلوف فى مقال له نشر فى برافدا فى ١٥ مايو عام ١٩٥٠ تحت عنوان « قاعدة صناعية هامة فى الشرق » إن مراكز التعدين ماجنيتوجورسك ، وكوزنتسك قد حولت بما جهزت به من أحدث المعدات الفنية إلى قاعدة هامة للإصلاح الفنى للمناطق الاقتصادية فى الشرق وللاقتصاد الوطنى العام للاتحاد السوفيتى . ولا نكون مخطئين إذا قلنا إن منطقة الأورال قد أصبحت العمود الفقرى للصناعة فى الاتحاد السوفيتى .

هذا إلى أن هناك قاعدة ضخمة ثالثة للفحم فى طريقها إلى الإنشاء فى حوض كاراجاندا فى إقليم كازاخستان فى آسيا الوسطى . هذا بالإضافة إلى التقدم الجديد الذى شمل الموارد القطبية على طول نهر « بتشورا » شرق اركنجل حيث يبلغ الاحتياطى من الفحم حوالى ٥٠٠ بليون طن .

والواقع أن الروس عندما يفكرون فى التقدم الصناعى السوفيتى ، فانهم يفكرون أولا فى الأورال . على أنه فى خلال سنى الحرب والفترة التى تلتها أمكن تسجيل تقدم منقطع النظير فى المناطق التى كانت لا تزال متخلفة حتى ذلك الوقت وهى فى أقاليم التركمان وكازاخستان ، وتادجيكستان ، وكرغيزيا ، وازبكستان ، وكلها فى آسيا الوسطى . والاقليم الأخير معروف بأنه القلعة الشيوعية فى الشرق .

ومنذ مارس عام ١٩١٩ وضع ستالين بنفسه أساس الأهداف البلشفية فى آسيا الوسطى السوفيتية فى كلماته « إن أساس عملنا هو بناء قلعة للقوة السوفيتية فى الشرق وإقامة قلعة شيوعيـة أخرى فى كازان ، ويوفا فى سمرقند ، وطشقند لانارة طريق الخـلاص أمام شعوب الشرق البائسة » .

وقد ذكر ا. نيازوف رئيس المجلس السوفيتى فى ازبك فى مقال له نشر فى ازفستيا فى ٢١ أكتوبر عام ١٩٤٧ ان ازبكستان أصبحت كالقلعة تماماً . وذلك فى مدى جيل واحد . فقد كانت هذه المنطقة الشهيرة بالقطن والحرير خالية من أى مصنع للمنسوجات فى عهد القياصرة وذكر الكاتب المذكور الشىء الكثير عن المراكز الصناعية الجديدة التى توجد بها الآن . ويدخل فى ذلك مدينة تشرتشك الشهيرة بمواردها الكيميائية وبصناعة الآلات . ويانجى — يول وهى مركز لإنتاج الأطعمة والصناعات الخفيفة . وانجرن وهى منجم اقليم ازبك للفحم ، وكوفاساى وهى قاعدة لصناعة الأدوات المنزلية .

وذكر كذلك أن المدن القديمة فى سمرقند وكوكاند قد تغيرت لدرجة لا يمكن معها أن نميزها . كما أصبحت طشقند المركز الرئيسى لصناعة المنسوجات فى آسيا الوسطى .

وقد نشرت جريدة « برافدا » مقالا افتتاحياً فى ١٧ يناير سنة ١٩٥٠ قالت فيه إن مدينة بيجوفات ملتقى قفار هانجرى ورمال القزوين

قد أصبحت الآن مركزاً للتعدين حيث يدرب الأهالى هناك على تكرير الصلب على أيدى خبراء من الأورال والدونياس ، وتمضى الجريدة فتقول إن مدينة لينينسك الجـديدة هى الآن المركز الرئيسى لإنتاج البترول فى ذلك الاقليم . وغنى عن القول ان بعض المراكز الصناعية الجديدة فى آسيا الوسطى لم تظهر بعد على خرائطنا . وان مشروعات الرى الكبرى — مثل قناة ستالين فى فرغانا العظمى والمحطة المائية لتوليد الكهرباء فى فرخد — قد ساعدت على التوسع الملحوظ فى الصناعة والزراعة .

وفى فترة تنفيذ مشروع ستالين للسنوات الخمس — حسب ما أشار إليه س . هـ . باتيروف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى التركمان — أنفقت الحكومة السوفيتية ما يزيد على ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل . وكانت فيما سلف أحط المناطق تأخراً على الحدود التى كانت خاضعة لروسيا القيصرية . وذكر أيضاً فى العدد الذى صدر فى ٢٩ يناير سنة ١٩٥٠ من جريدة برافدا أن أكبر حقول البترول فى آسيا الوسطى مكانة الآن يقع فى التركمان . ويشير باتيروف إلى أن ٤٢ فى المائة من مشروعات الاقليم هى مشروعات كبيرة خاصة بالصناعات الثقيلة وتقع فى بقاع مثل شخاباد ، وكراسنوفودسك ، وتشاردزهون . وأن الصناعة فاقت الزراعة فى الإنتاج فى هذه المناطق ، وأن حدود روسيا تجاه إيران هى إقليم تركمان حيث يقوم هذا التقدم .

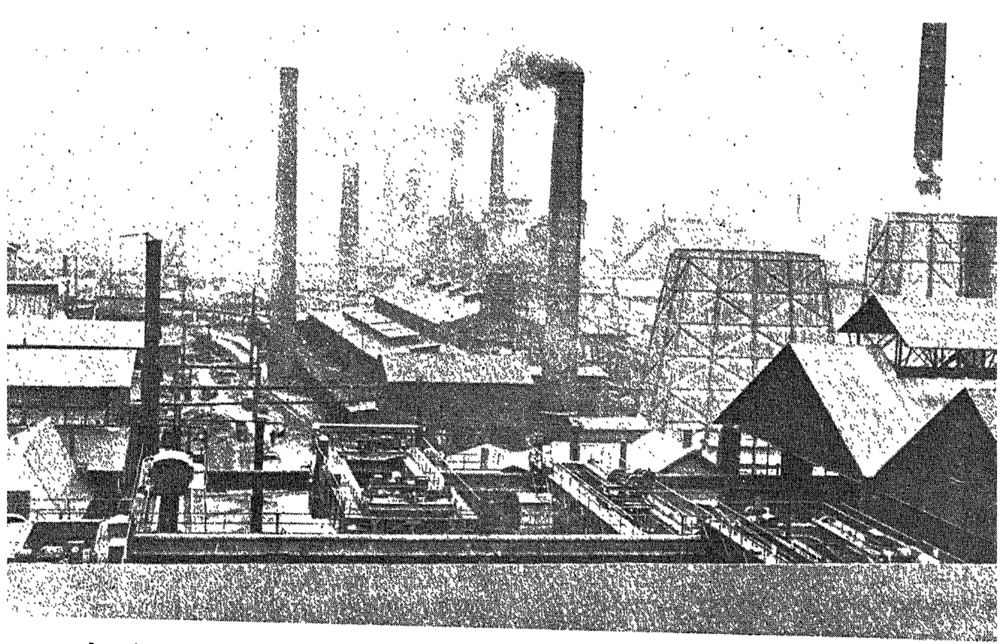
وقد وصف شياخميتوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى كازاخستان فى عـدد ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٧ من جريدة براقدا ــ هذا الإقليم الذى كان بمثابة بقعة بدائية فى روسيا القديمة . فقال عنه إنه إقليم متقدم صناعياً وزراعياً . وإن عدة مراكز صناعية أقيمت فى كاراجاند ، وبلخاش ، وتميرتو ، واست كامينو جورسلك ، وغيرها . ويقول سكرتير الحزب إن السكك الحديدية والطرق العامة وخطوط التلغرافات والطرق الجوية حلت محل طرق قوافل الجمال فى ربط هذا الأقليم بغيره من الاقاليم الأخرى فى الاتحاد السوفيتى .

وكذلك قرر د . رازولوف رئيس مجلس وزراء إقليم تادجيك فى جريدة ازفستيا فى ١٨ أكتوبر عام ١٩٤٧ أن فى تادجيكستان ــ وهو إقليم لم يكن معروفاً كوحدة سياسية على خرائط ما قبل الثورة ــ ١٥٤ مشروعاً جديداً أنشئت خلال فترة مشروع السنوات الخمس . وأن ٧٢٠ منجماً للمعادن النادرة قد اكتشفت وأن ٧٠ منها قد استفيد منها فعلا . وتوصف مدينة ستالين‌اباد بأنها عاصمة صناعية حديثة بعد ما كانت مجرد « قشلاق حربى » غير معروف . ففيها الآن عشرات من الطواحين والمصانع . وقد كان لرى وادى ڤاخش أكبر الأثر فى حياة عشرات الألوف من الذين هاجروا من الجبال الواقعة قرب حدود أفغانستان والصين الغربية فوجهوا نشاطهم إلى زراعة القطن والعنب والفاكهة . كما حدث تقدم مماثل فى إقليم كرخيزيا السوفيتى .

وإذا لاحظنا ما جاء بالصحافة السوفيتية نجد أنه بالإضافة إلى المبالغ الطائلة التى أنفقتها الحكومة السوفيتية فى رقى آسيا الوسطى ، فان هناك مشروعات كبرى ستقوم فى المستقبل القريب فى هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة — فقد وضع مهندس ذو شهرة بسيطة تصميماً أوضح به « أنه سيكون من الممكن فى المستقبل القريب رى أكثر من ٣٠ مليون فدان من الأرض فى آسيا الوسطى وكازاخستان من ماء نهرى الأوب واليينيسى . وهى منطقة تبلغ مساحتها سبعة أضعاف مساحة المنطقة التى تروى فيها الآن » ولم ينشر هذا المشروع فى البرافدا أو الازفستيا . لا ولا حتى فى جريدة « ترود » وهى جريدة العمال . ولكنه نشر فى مجلة « الليتيراتورنايا » فى أول يناير عام ١٩٤٩ تحت عنوان « حدائق بتألق فى الصحراء » .

وبمناسبة النمو الصناعى الجارف فى آسيا الوسطى السوفيتية ينبغى أن نلاحظ أنه بالإضافة إلى الستار السلافى الذى سبق الإشارة إليه فى الفصل السابق ، فان عدداً من المراكز الصناعية الصغيرة قد أنشىء قرب الحدود . وهذه الخطة تقوم بخدمة غرضين : فهى توحى فى نفوس الزائرين القادمين من الأقاليم المجاورة فكرة التقدم الصناعى فى الأقاليم السوفيتية إذا ما قورنت هـــذه بأقاليمهم المتأخرة صناعياً .

ولمـــا كانت الحرب العالمية الثانية قد أثبتت أن المناطق الصناعية كانت أشد مقاومة أمام زحف العدو من البقاع الزراعية الواسعة . فان



تقوم فى الدول التى اسدل عليها الستار الحديدى مصانع حربية مهمتها انتاج الاسلحة لتستخدمها القوات الروسية اذا نشبت الحرب

إنشاء مثل هذه المناطق الصناعية على طول الحدود الاسيوية هو جزء لا يتجزأ من برنامج الدفاع السوفيتى . إذ أن هذه المدن تساعد فى إصلاح المعدات الحربية الميكانيكية الحديثة بما فيها الدبابات وجميع أنواع وسائل النقل ذات المحركات .

وعلى الرغم من أن حركة التصنيع تسير بسرعة فائقة فى طول الاتحاد السوفيتى وعرضه ، فانه يبدو واضحاً أن هناك اهتماماً كبيراً قد وجه إلى التقدم العظيم القائم الآن فى الأورال وآسيا الوسطى . فبينما نرى أن هذا التقدم الصناعى وعلى الأخص فى الأورال قد قصد به أساساً مد الأسواق المحلية بالمنتجات . فان الصحافة السوفيتية أشارت أكثر من مرة إلى أن هناك مصانع جديدة فى آسيا الوسطى ستستخدم فى المستقبل للتصدير للصين أولا . ثم بعد ذلك للشرق الأوسط وحتى للشرق الأدنى .

كذلك يبدو واضحاً أنه للوصول بهذا التقدم الصناعى إلى أقصى مـداه فى الوقت الذى تعانى البلاد نقصاً فى الآلات ، فان الحكومة السوفيتية تلجأ إلى استخدام القوى الآدمية . ولذا يوجد فى الأورال وآسيا الوسطى جيوش مجهولة العدد من العمال وأسرى الحرب يعملون تمهيد الطريق للعهد الجديد . ويعمل المسئولون على إبعاد الغربيين عن هذه البقاع ، وأقصى ما تعمله الحكومة فى آسيا الوسطى هو أن تسمح لزعيم مسلم بأن يشاهد ما يجرى من التغيير بين آن وآخر ليعود إلى عشيرته يروى لهم ما قد شاهده .

ولا شك أن مجرد الوقوف على مدى الأهمية الاستراتيجية التى تعلقها روسيا على الأورال وآسيا الوسطى كفيل بأن يوضح لماذا كانت الحكومة السوفيتية على درجة كبيرة من الحساسية نحو أنواع التقدم القائمة فى جارتها إيران وعلى درجة أقل نحو ما يدور عن التقدم فى أفغانستان . ذلك لأن الاتحاد السوفيتى ينوى بغير شك اتخاذ كل احتياط ليدافع عن هذه المنطقة ضد الغزو الجوى أوالبرى . إذ أن هدم العمود الفقرى الصناعى إذا لم يذهب بهيبة الاتحاد السوفيتى ، فانه على الأقل قد يشل قوته الحربية وقت الحرب . أما فى وقت السلم فان هذه المنطقة يصبح لها شأن كبير كمركز للدعاية فى طول آسيا وعرضها . وليس فى وسعنا أن نتجاهلها الآن .

الفصل الخامس

سير أحوال العمل منذ الحرب في الاتحاد السوفييتي

على الرغم من أن الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعى قد بذلا جهوداً جبارة لوقف الاتجاه الفردى وتحويله إلى اتجاه جماعى اشتراكى كخطوة أولى نحو الاتجاه الشيوعى . فانهما لم ينجحا بعد فى بلوغ هذا الهدف كما يتبين ذلك مما تكتبه الصحافة السوفيتية . ففى وقت الأزمات والطوارىء مثل فترات الإصلاح التى تلت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية توقفت السلطات السوفيتية عن التمسك بمبدأ التأميم فترة من الوقت . بل أجزلت المساعدات والإعانات لتشجيع النشاط الخاص فى التجارة والزراعة . إلا أنها عادت ففرضت القيود من جديد على كل نشاط فردى أو جماعى عندما أخذ الموقف الاقتصادى فى التحسن وذلك لعودة مبدأ التأميم من جديد .

فى عام ١٩٤٥ مثلا ذهبت الحكومة السوفيتية بعيداً إلى حد أنها كانت تقرض الأفـراد لتساعدهم فى بناء المساكن لتمكنهم من القيام بمشروعات تجارية فردية بسيطة .

وأحسن ميزان للحكم على « الانتعاش » السوفيتى فى عام ١٩٥٠ هو الحملة التى تسير فى طريقها الآن نحـو التأميم المتزايد . فكما أن (الكولاكس) ـــ وهم طبقة الفلاحين الأغنياء ـــ قد أجبروا بمقتضى مشروع السنوات الخمس على رد ما جمعوه بمقتضى مبدأ « السياسة الإقتصادية الجـــديـدة » الـــذى كان معمولا به فى الفترة ما بين (١٩٢١ ـــ ١٩٢٨) نجد اليوم أن العامل السوفيتى وخاصة (الكالخوزنيك) وهو الفلاح الذى يعمل فى المزارع الجماعية – قد فقد كثيراً مما كان يسمح له بجمعه أثناء الحرب والسنوات التى تلتها وذلك بعد تعديل قيمة الروبل ومساهمته فى السلفيات الحكومية للإصلاح وانتشار وسـائل التأميم .

وبالإضافة إلى الالتجاء إلى تشجيع الجهود الفردية للإسراع فى إصلاح المناطق غير المأهولة بالسكان فى روسيا الأوروبية ، فان القادة السوفيتيين قد استفادوا كثيراً من هذه الجهود فى فتح واستعمار مناطق جديدة فى سيبيريا والشمال الأقصى . وقد أمكن بمختلف وسائل الإغراء مثل منح الأجور المرتفعة وتوفير المساكن الجيدة وإعطاء الكثير من المواشى والإعفاء من الضرائب لمدة عشر سنوات ـــ نقول



ويساق كل يوم الى معسكرات الاسرى مئات من الشعب الروسي للعمل فى سيبريا .. فالسخرة فى روسيا عامل اقتصادي له اهميته

أمكن إغراء كثير من المهاجرين للإنتقال إلى مناطق أبعد من الأورال حتى المنطقة القطبية . وبمعنى آخر فقد لجأ الاتحاد السوفيتي إلى كل الوسائل لتنفيذ برنامجه . وإذا فشلت الحكومة فى طرق إغرائها لتنفيذ هذا البرنامج فانها كانت تلجأ إلى استعمال القوة والعنف بدون أى اعتبار .

ومن هنا تفشى فى الإتحاد السوفيتى نظام « السخرة » فقد أفضى بعض من كانوا فى معسكرات السخرة وهربوا منها منذ بداية الحرب وفى أثنائها وكذلك أسرى الحرب الذين عادوا إلى أوطانهم . أفضوا بأقاصيص حية عما شاهدوا هناك . ويقدر عدد الأفراد الذين حجزوا فى تلك المعسكرات بين ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ، ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ من مجموع السكان الذى يبلغ ٢١١٫٠٠٠٫٠٠٠ . وليس من شك فى أن الحكومة السوفيتية هى وحدها التى يمكنها أن تقدر العدد الصحيح . وهيهات أن تفعل ذلك .

ولا تشير الصحف السوفيتية إلى هذا النوع من العمل على أنه نوع من السخرة ولو أنه موجود بالفعل .

ونحن إذ نجد أن عمل السخرة هو نظام قديم فى روسيا وفى بقاع كثيرة من العالم خارج الديمقراطيات الغربية . فاننا نجد أيضاً أن هناك أنواعاً أخرى من العمل الإجبارى أبعد نفوذاً منه ، وأن الحكومة السوفيتية لم تقصر هذا النوع الأخير على جزء صغير من العمال السوفيتيين بل فرضته عليهم جميعاً .

أما من جهة العمال العاديين أو غير المدربين فى الاتحاد السوفيتى فانهم يساقون كالقطعان من منطقة إلى أخرى بدون إتاحة الفرصة لواحد منهم للرفض . وكان الجنود الذين أطلقت الحكومة السوفيتية سراحهم بعد انتهاء الحرب يرسلون إلى حيث تريدهم هذه الحكومة الذهاب إليه . وقد يصل الأمر إلى ارسالهم إلى اقليم سخالين البعيد .

أما العمال المدربون الممتازون منهم فقد نقلوا إلى جهات أخرى .

ففى عام ١٩٤٨ مثلا — حينما دل البحث على زيادة فى الأيدى العاملة المدربة فى المصالح الحكومية وغيرها من الهيئات الاقتصادية — نقل عدد كبير منهم بدون أى تمييز وأرسلوا فى الحال إلى جهات أخرى من الاتحاد السوفيتى بحجة كفاءتهم وذلك لإلحاقهم بمختلف الأعمال .

ولم يقتصر تعسف الحكومة على ذلك . بل إن المتوسطين من الفنيين والطلبة كثيراً ما كانوا يتعرضون لنفس المصير . وكثيراً ما سجلت مجلة الكروكودايل الفكاهية ما يحدث للزائدين عن الحاجة من الطلبة والبيروقراطيين ، فمثلا نشرت مجلة الكروكودايل فى العدد الذى صدر فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٨ قصة تدور حول طالبة جامعية سوفيتية أكد لها أستاذها أن معلوماتها المحدودة لا تتيح لها الذهاب بعيداً جداً ، وأنها قد اعترتها دهشة كبيرة عندما وجدت نفسها وقد نقلت بعيداً عن الحدود ...

ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أن أحسن الرؤوس المفكرة فى الوظائف

والصناعة والزراعة كثيراً ما يحصل أصحابها على كل التسهيلات والمزايا مثل الأجور المرتفعة والمساكن والخدمات الأهلية والمعدات الفنية والمكتبات ما داموا بعيدين عن الاصطدام ببرنامج الحكومة . ولكن هذه المزايا ميسورة فقط لعدد ضئيل من السكان .

وبالإضافة إلى التكليف الإجبارى فى العمل ، لا بد لنا أن نذكر أن هناك نوعاً آخر من العمل نميل كثيراً إلى تسميته بالعمل المرهق .

ولكى يصل الاتحاد السوفيتى بالصناعة والزراعة إلى مستوى ما قبل الحرب عام ١٩٤٨ والتفوق على هذا المستوى ، تعرض العمال لضغط شديد فى السنوات التى تلت الحرب بعكس ما حدث فى الولايات المتحدة الامريكية ، إذ أن القيود الحكومية التى كانت مفروضة على الإنتاج فى أثناء الحرب رفعت مباشرة بانتهاء الحرب .

وقد امتلأت الصحف السوفيتية بمقالات تلح فيها بزيادة ساعات العمل والحض على المنافسة العملية بين المصانع والمزارع الجماعية وما إلى ذلك . وامتازت المقالات التى نشرت فى سنى الحرب بعنوانات لها طابع خاص مثل « زد من قدرة كل مشروع بانتظام » (براقدا فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٤٨) ، و « اتقن جودة منتجاتنا بسرعة » (براقدا فى ٢٠ أكتوبر عام ١٩٤٨) ، و « زد من سرعة الإنتاج بانتظام » (ازفستيا فى ٢٠ نوفمبر عام ١٩٤٨) ، و « سوف يزيد عمال المناجم فى الأورال كمية الفحم المستخرج » (برافدا فى ٦ فبراير عام١٩٤٩)

فى عام ١٩٤٨ قامت الحكومة السوفيتية بحملة قوية للدعاية لنظام الأرباح كانت لها نفس الدلالة التى كانت لنظام العمل بالقطعة فى تشجيع الإنتاج . ولم تدرك الصحافة الأمريكية إلا قليلا أن البرنامج السوفيتى — بعد انقضاء مائة سنة تماماً على نشر « البيان الشيوعى » — قد طلب من كل مشروع سوفيتى أن يثبت أنه مربح . وكلما كانت هذه الأرباح كبيرة اكتسبت تقديراً .

ولما لم يكن أمام كثير من أصحاب الأعمال السوفيتيين سوى التعرض لسوء السمعة أو الطرد إذا ما فشلوا فى إظهار هذه الأرباح فقداضطروا إلى الخروج الصارخ على قوانين العمل وذلك لزيادة الإنتاج .

وقد نشر فى جريدة « ترود » فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٤٩ مقال تحت عنوان « راقب بدقة قوانين أوقات العمل » جاء فيه ما يوضح أن الإجراءات التى اتخذتها الحكومة مع نقابات العمال كانت تتضمن تحذيرها بالتشدد فى اتباع قوانين العمل وأنه يجب وضع حد للإستغلال السيء فى ساعات العمل الإضافية وتأجيل أيام الراحة أو إلغائها وكذلك تقصير الفترة المخصصة للغداء . وبالرغم من هذا التحذير فان الحملة القوية للإنتاج الواسع وتحسين النوع استمرت خلال صيف عام١٩٥٠ كما ظهر ذلك مما جاء فى مقال افتتاحى نشرته صحيفة « ترود » فى ٢٢ يوليه عام ١٩٥٠ تحت عنوان « جاهد بشدة فى سبيل الإنتاج » . وفى مقال آخر فى نفس الجريدة المذكورة فى ٢ أغسطس عام ١٩٥٠

تحت عنوان « واصل الحملة لتحسين الإنتاج » . أما الإجابة عما إذا كان هناك حد لما يطلب من الشعب السوفيتي من الجهود فى معركة الإنتاج، فان الروائي السوفيتي ا. ڤولوشين قد أوضحها فى كلماته «لا يوجد مثل هذا الحد » فى قصته الشهيرة « أرض كوزنسك » التى نالت جائزة ستالين فى عام ١٩٥٠ .

ويجب أن نقرر هنا أن الاتحاد السوفيتي قد خطا خطوات سريعة نحو « الانتعاش » منذ عام ١٩٤٥ .

ومن الأمثلة على ذلك أنه ورد فى جريدة براڤدا فى ٢٤ مايو عام ١٩٥٠ أن المجتهدين من العمال فى مدينة ستالينو الواقعة فى قلب اقليم الدونباس ومن بينهم عمال المناجم والتعدين وصناعة الآلات والفلاحين الذين يعملون فى المزارع الجماعية والعلماء ـ هؤلاء قد أمكنهم شراء سيارات من ماركتى بوبيدا ، موسكوڤتش . ولم يزل من الشاذ لا من القاعدة أن يتمكن العمال من شراء العربات والدراجات وأجهزة الراديو وغيرها من وسائل الحياة ، وليس أدل على ذلك من أن القادرين منهم تنشر أسماؤهم على صفحات الصحف السوفيتية .

ولم يتم « الانتعاش » السوفيتي فيما بعد الحرب نتيجة للعمل التطوعى كما حدث ذلك فى أمريكا أو عن طريق البذل وإنكار الذات كما حدث فى انجلترا ، ولكن حدث عن طريق حملة شديد شنتها الحكومة السوفيتية وعاونها فيها الحزب الشيوعى ، أدت إلى قيام ظروف الارهاق

فى العمل والخروج على قوانينه وعن طريق نقل العمال من جهة إلى أخرى فى سبيل المصالح العليا للدولة . وكذلك عن طريق تسخير العمال وأسرى الحرب .

كذلك كان من الواضح أن الحملة القوية التى قامت عام ١٩٥٠ للتوسع فى التأميم — دلت على أن القادة السوفيتيين يعتقدون أن الأزمة المباشرة التى قامت فى الأعوام التى أعقبت الحرب قد تلاشت وانقشعت حتى بدون المساعدة الأمريكية .

الفصل السادس

روسيا والصين - وجوه الشبه بينهما

يلاحظ الباحثون المدققون الذين يهتمون بما يحدث فى روسيا والصين وجود أوجه شبه كثيرة بين ثورة هاتين الدولتين .

فقد نبعت الثورة الروسية من سعير الحرب العالمية الأولى كما نبعت غلبة الشيوعية فى الصين من الحرب العالمية الثانية . فى هاتين الدولتين كان النهم إلى امتلاك الأراضى والسخط الناشىء عن سوء توزيع الملكية عاملين من العوامل الفعالة التى ساعدت الثوار المتطرفين فى القبض على زمام الأمور .

وكذلك تشابهت النتائج التى أسفرت عن الثورة فى كل منهما .

فاستراتيجية الحرب الأهلية فى الصين تشبه إلى حد كبير نظيرتها فى روسيا بحيث لا يمكن للإنسان إلا أن يخرج منهما بإحدى نتيجتين هما إما أن القادة الصينيين أنفسهم قد درسوا الثورة الروسية دراسة عميقة فاستفادوا منها . وإما أنهم قد تلقوا من الخبراء السوفييت العسكريين

من الإرشادات ما ساعدهم فى الاستفادة العملية من الثورة الروسية .
ومما يبعث على الدهشة أن الكيومنتانج (Koumtutang) (حزب تشانج كاى تشيك) ومستشاريه الأجانب قد فشلوا فى اكتشاف هذه الاستراتيجية أو فى التفوق فى الجاسوسية على الجيوش الشيوعية .

وحتّى نتيجة الحرب الأهلية فى الصين كما ننظر إليها اليوم ، وكذلك انسحاب رجال « تشيانج كاى تشيك » من الصين الأصلية إلى جزيرة فرموزا ، لا يمكن إلا أن تذكرنا بانسحاب البارون بيتر رانجل إلى القرم والجلاء الكامل للجيوش الروسية البيضاء .

أما عن الموقف الحالى فى الصين وما نتوقعه من الدور الذى سوف تلعبه الجمهورية الصينية الشيوعية فى المستقبل فى الشرق ، فنرى أنه لزام علينا أن نقـــرأ بعناية مقـــالا للزعيم الصينى الشيوعى « ماوتسى تونج » وحديثاً له وصلا إلى الأمم الغربية عن طريق جريدة براقدا .
وكان الحديث بعنوان « مشاكلنا والموقف الحالى » . وقد أدلى به تونج فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٤٧ فى أحد اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الصينى الشيوعى ، ونشر فى ٦ يناير عام ١٩٤٨ أى بعد أسبوعين من الإدلاء به لصحيفة براقدا تحت عنوان « حديث لماوتسى تونج » .
أما المقال وعنوانه « ديكتاتورية الديمقراطية الشعبية » فقد كتب بمناسبة مرور ٢٨ عاماً على إنشاء الحزب الشيوعى الصينى فى أول يوليه عام ١٩٤٩ ونشر فى صحيفة براقدا فى ٦ يوليه عام ١٩٤٩ .



تكاد الاحوال فى الصين الشيوعية تشبه الاحوال فى روسيا ... ففى الصين ـ كما فى روسيا ـ يتعلم افراد الاسرة الواحدة كيف يتجسسون على بعضهم البعض فتقدم الام ابنها الى حبل المشنقة

وقد تجرأ « ماوتسى تونج » لأول مرة فى الحرب الأهلية الصينية فطلب فى هذا الحديث السيطرة على الصين كلها . ولسوء الحظ قوبل هذا الطلب بالسخرية والإهمال نتيجة للظروف التى كانت قائمة فى ذلك الوقت . فقد كان شيانج كاى شيك لا يزال حينذاك مسيطراً على كثير من المعدات والقوات المدربة الممتازة . أما فكرة نشر الحديث كاملا فى صحيفة براقدا فانها تدل على ثقة فى الانتصار الشامل للشيوعية فى الصين إن لم يكن خضوعاً لها . الأمر الذى حدا بالغربيين أن يهتموا به اهتماماً كبيراً .

وكان مقال « ماوتسى تونج» ذا مغزى كبير بالنسبة للديمقراطيات الغربية . لأنه لم يقنع بمجرد المطالبة بالسيطرة الشيوعية على الصين وحدها وإنما طلب السيطرة العقلية على الشرق أيضاً ، إذ قال : إنه عندما يسيطر الشيوعيون على الصين كلها ، فانهم سوف يمدون يد المساعدة للشعوب التى تقع على حدودها والتى تجاهد للقضاء على السيطرة الاستعمارية.

وقصارى القول إنه على الرغم من أن البرنامج الداخلى الذى وضحه ذلك المقال قد أعاد إلى الأذهان الاصلاحات المحدودة لتوزيع الملكية التى نادى بها الثوريون الاجتماعيون فى روسيا فى ثورة عام ١٩٠٥ ، فان ماوتسى تونج ينادى اليوم فى سياستة الخارجية بثورة عالمية دائمة أو على الأقل بثورة فى آسيا كما سبقه تروتسكى فى ذلك من قبل .

والحقيقة أن « ماوتسي تونج » كرس جهوده للقيام فى آسيا بنفس الدور الذى تلعبه روسيا اليوم فى أوربا . وبمعنى آخر — حسب ما نستشفه من الصحف السوفيتية — فان الثورة قد أخذت فى الاندلاع اليوم فى آسيا بسقوط الصين الوطنية وقيام الصين الشيوعية .

وقد أخذت الصحف السوفيتية تشير إلى الخطوات الرئيسية التى يتخذها « ماوتسي تونج » . وقد تقوم بذلك لعدة شهور سلفاً .

ومن الواضح أيضا ، حسب ماتذكره هذه الصحف ، أنه إذا نجح ماوتسي تونج فى تحقيق طلبه الخاص بالسيطرة على الشرق الأقصى فان الروس يتوقعون غزو الشرقين الأوسط والأدنى وكذلك أوروبا بدون إطلاق رصاصة واحدة فى اتجاه الدردنيل أو إيران . وبعبارة أخرى إن المحور الصينى السوفيتى أصبح الآن أشبه بكماشة عظمى تحيط بأوروبا والشرق . ويكفى لإدراك ذلك إلقاء نظرة خاصة على الخريطة.

••

الفصل السابع

الصين والتيتوية

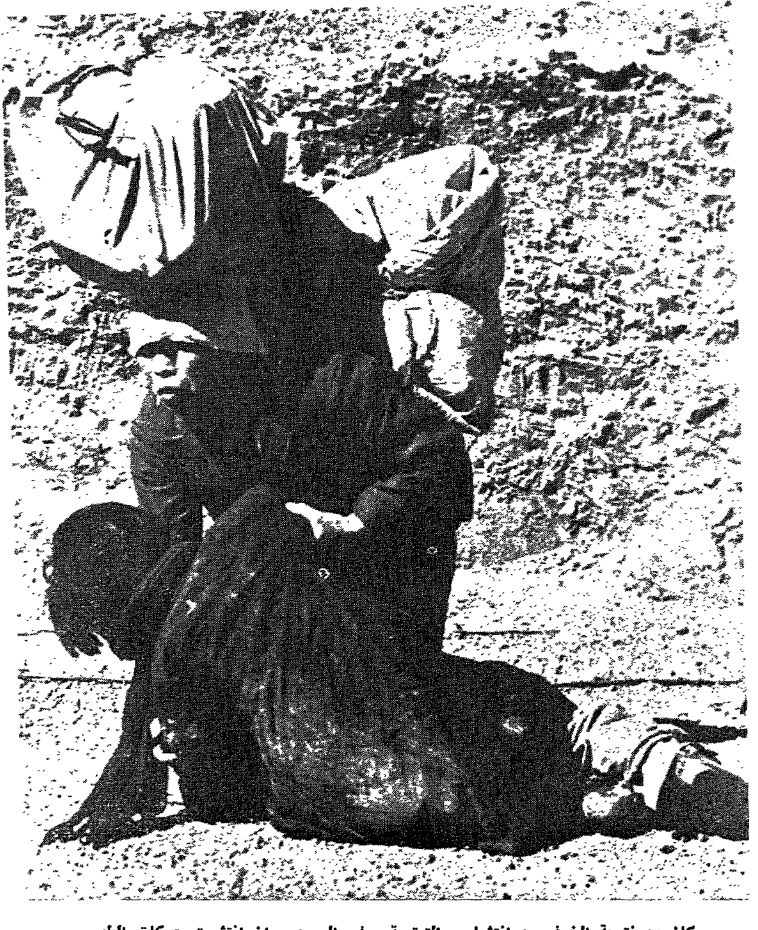
كانت ثورة تيتو على الكومينفوورم فى عام ١٩٤٨ مفاجأة مؤلمة للاتحاد السوفيتى . فقد جاء بالصحافة السوفيتية أن المكتب السياسى الروسى « بوليتبيرو » كان منقسماً على نفسه فى هذا الشأن ... فقد كانت هناك جماعة يرأسها أندريه زدانوف اختصت بالعمل ضد يوغسلافيا حتى ولو أدى هذا العمل إلى الحرب . إلا أن الأغلبية — وقد كانت تسير تحت لواء ستالين — فضلت طريقاً أكثر حذراً وهو تجنب الحرب . ولما أضحت سياسة زدانوف من الوضوح بحيث يخشى أن تؤدى إلى قيام نزاع مسلح ، مرض زدانوف فجأة وتوفى على الأثر.

وقد كانت مجلة « سلافيانى » (السلافين) الأسبوعية — وهى لسان الكومينفورم الرسمى — تتظاهر فى ذلك الحين بأنها تعمل على المحافظة على وحدة الأقاليم السلافية . فى حين أنها كانت فى حقيقة الأمر تعمل

على سحق « التيتوية » فى أوروبا والبلقان . ومن العجيب حقاً أن تيتو كان محرماً عليه أن يعمل فى يوغوسلافيا ما تعمله الحكومة السوفيتية فى الاتحاد السوفيتى . فقد كان البرنامج السوفيتى يقضى ببذر بذور الوطنية المتطرفة فى البلاد تحت أسماء اشتراكية . إلا أن ما ينشره الروس فى بلادهم لا يسمحون بنشره فى البلاد التى تدور فى فلكهم . والسبب فى ذلك واضح . فوطنية هذه البلاد لا تستقيم مع القيادة السوفيتية — لذا كان من العجيب أن نرى أن الوطنية الروسية ، وهى التى تنعكس واضحة على صفحات جريدتى برافدا وازفستيا يومياً ، تغيب أو تكاد على صفحات مجلة سلافيانى .

ومدى ما وصل إليه خوف الاتحاد السوفيتى من « التيتوية » كان يبدو واضحاً من تصريحات « ماوتسى تونج » . فقد ظل يؤكد يوماً بعد يوم أنه لن يكون هناك أى أثر من « التيتوية » فى الصين . وهذا يعنى أن الروس قد أعدوا العدة لمنع قيام « التيتوية » فى الشرق الأقصى بعد أن تعلموا درساً لن ينسوه ، على أيدى اليوغوسلافيين .

ويظهر لنا من الصحف السوفيتية أن الروس على ثقة من سير الصين الشيوعية فى فلكهم مادامت مشتركة فى حرب ، سواء أكانت هذه الحرب ضد شيانج كاى تشيك أم ضد أى شعب آخر . ذلك لأن الصين فى مثل هذه الحالة سوف تكون فى حاجة دائماً إلى المعونة السوفيتية فيزول بذلك خطر انتشار « التيتوية » . لذلك فان الإتحاد



كان من نتيجة الخوف من انتشار « التيتوية » فى الصين ، ان انتشرت حركات الطهير ..
ففقدت الامهات ابناءهن

السوفيتي يعمل كل ما فى وسعه لتشجيع الصين الشيوعية على الاشتراك فى الحرب مع آسيا .

وإذ تكون الحرب مستمرة فان مراكز الدعاية السوفيتية تعمل بكل جهدها لتحبط أية محاولة لنشر « التيتوية » فى الصين ، وذلك عن طريق تعزيز العلاقات التى تربط الصين بروسيا . فالتقارير التى تنشرها الصحف السوفيتية للروس الذين يسافرون إلى الصين ، والأخبار التى تتناول الشخصيات البارزة من الصينيين الذين يزورون الاتحاد السوفيتى تجعل من الواضح أن هناك دعايات خاصة طبعت فى آذان الصينيين .

وأول الأشياء التى أنهيت إلى الصينيين أنه ليس هناك أى مشاكل دينية بين روسيا والصين ، كما هو الحال فى أوروبا ، وعلى الأخص بين روسيا والممالك التى تسود فيها الكاثوليكية الرومانية .

وثانيها أن هناك تأكيدات تقوم بين آن وآخر لإثبات أن الروس لا يتصفون بالتعصب المذهبى كما يتصف الغرب . وعلى ذلك فلا محل لأن يقوم ما يعكر صفو العلاقات الصينية السوفيتية .

وثالثها أن الروس يوجهون الاهتمام الصينى إلى حقيقة أن كلا من الشعبين الروسى والصينى هو شعب تسود فى أرضه الزراعة وأن الروس يرتبطون بالشرق أكثر مما يرتبطون بالغرب . ولذا فهم يعطفون على الطموح الصينى ويقدرونه . وأخيراً فان الروس يذكرون الصينيين

دائماً بأن الاتحاد السوفيتي ليس له مستعمرات في الشرق الادنى أو الشرق الأقصى كما للدول الغربية فيهما .

وهناك مشروع بعيد المدى يوضع الآن لتدعيم الصداقة الصينية السوفيتية وجعلها أبعد عمقاً وأوسع نطاقاً . وهو يهدف إلى أن يكون بمثابة حاجز لمنع انتشار « التيتوية » .

فالعلماء الروس والصينيون يسهرون الليالي لإيجاد وسيلة للتغلب على ما بين لغتى البلدين من حواجز فهناك تلميحات ظهرت في الصحافة السوفيتية يفهم منها أن العمل يجرى لإيجاد أبجدية مؤسسة على الحروف الروسية وتشبه تلك التي أدخلت على لغة الجمهورية المنغولية في عام ١٩٣٩ .

هذا إلى أن الروس والصينيين الشيوعيين يوجهون شعبيهما لدراسة اللغتين الصينية والروسية دراسة عميقة . وقد كان التصريح الذي أفضى به الكسندر فادييف ممثل اتحاد الكتاب السوفيتيين عند انشاء جمعية الصداقة الصينية السوفيتية في « بكين » والذي نشرته صحيفة برافدا في ٨ أكتوبر عام ١٩٤٩ ، يعبر عن الأسى والأسف من أن هناك نفراً قليلا جداً من الروس يعرف اللغة الصينية وأن قليلا جداً من الكتب الصينية القديمة قد ترجم إلى اللغة الروسية . وقد أقسم هذا الكاتب ووعد بأن كل هذه الأمور سوف تتغير في سنوات قليلة .

ومن بين الوسائل التي قصد بها التغلب على الحواجز اللغوية أن

و لافاً من الطلبة الصينيين سافروا إلى روسيا للتدريب الفنى واللغوى والنظرى فى الاتحاد السوفيتى ، وعلى الأخص فى جامعات موسكو آلننجراد وتومسك واركتسك . وبالمثل فان عدداً كبيراً من الطلبة الروس يوجدون الآن فى الصين لنفس الغرض . وذلك إما عن طريق تبادل الطلبة أو عن طريق المنح الدراسية . وبالاضافة إلى الدراسات الجامعية فان هناك مدارس مسائية قد فتحت فى روسيا للصينيين . وفى الصين للطلبة الروسيين . فقد ذكرت صحيفة برافدا مثلا فى ١٩ أبريل عام ١٩٥٠ أن جمعية الصداقة الصينية السوفيتية وحدها قامت بفتح مدارس مسائية فى بيكين وباوتنج وشنغهاى وهانكو وكانتون ، ولانشو وتسينجتاو .

ويجب أن يكون مفهوماً أن هناك محاولات تبذل فى هذا السبيل بحيث يصل أثرها إلى كل طبقة من طبقات المجتمع . فقد أرسل عدد كبير من العمال الصينيين إلى سيبيريا على دفعات ليتعلم بعضهم التجارة وليقوم البعض الآخر بالأعمال اليدوية أو مد الصين بالبضائع . ونحن لانخطىء فى التقدير إذا ذكرنا أن هناك ما يقرب من المليون من هؤلاء الصينيين فى سيبريا فى الوقت الحاضر وأنهم يتدربون على اللغة الروسية ويتلقون يومياً إرشادات وتوجيهات مناهضة للنزعة التيتوية . وعلى ضوء ما قد حدث فى الماضى فى حالة الكوريين واليابانيين الذين جاءوا إلى الاتحاد السوفيتى ، يصبح من المحتمل أن يكون بعض هؤلاء الصينيين قد دربوا

على الفنون الحربية السوفيتية للاستفادة بهم فى الشرق الأقصى .

ولا شك أن العمال الصينيين غير المدربين والذين لم يروا الغرب فى حياتهم أو لم يروا حتى المناطق الصينية المشيدة على الطراز الغربى قد يجدون أن التدرب على الصناعة أو الزراعة السوفيتية ، شىء يستحق الطموح إليه .

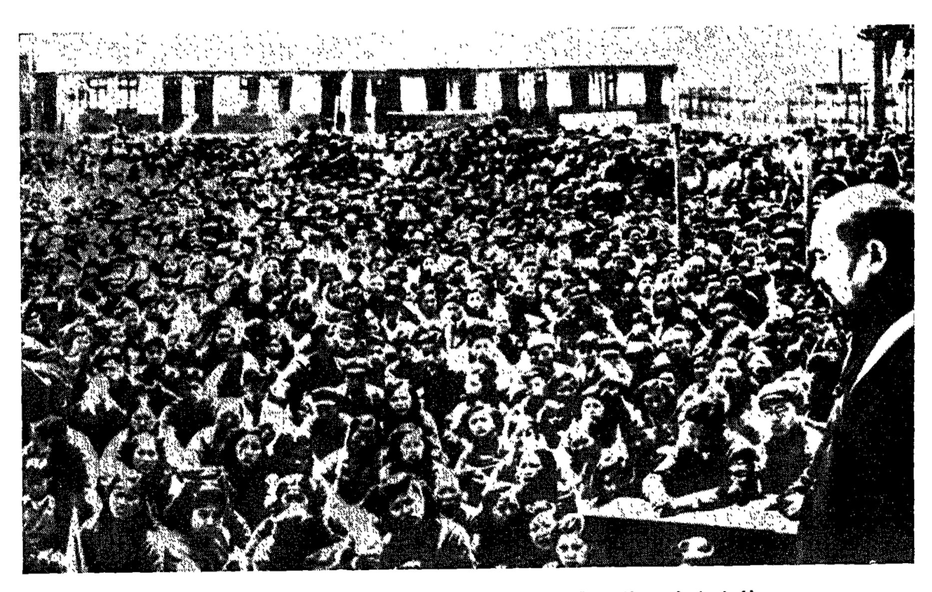
ولم تكن صحيفة برافدا تهزل عندما كانت تشير بين آن وآخر إلى ازبجستان السوفيتية على أنها « قلعة الاشتراكية فى الشرق » وإلى أن الحكومة السوفيتية قد أنفقت هناك مبالغ طائلة على مشروعات الرى وتنمية المناجم وطرق النقل .

وبالرغم مما بذله الاتحاد السوفيتى من جهود للتقريب بين روسيا والصين لوضع أساس لصداقة دائمة بين الدولتين ، فان الصحف السوفيتية تشير باستمرار إلى ما قد يستشف منه أن الروس يهتمون الآن اهتماماً كبيراً بهذه الشئون . ومثال ذلك أن الاتهامات التى توجهها الدول الغربية ضد السيطرة السوفيتية على بلغاريا ودول شرق أوروبا التى تدور فى الفلك السوفيتى نادراً ما تحدث أى أثر فى الصحافة السوفيتية . فى حين أن الاتهامات المماثلة التى توجه إلى التقدم السوفيتى على حساب الجهود الصينية كثيراً ما تثير اهتمام السوفييت فيعمد كبار الرسميين السوفيتيين إلى استنكارها على صفحات برافدا وازفستيا . وينشر ذلك فى خلال أربع وعشرين ساعة فى بعض الأحيان .

وفى الوقت الذى وضع فيه الروس جميع الأمور فى نصابها فى الصين ، نجد أن اندماجهم فى شئون هذه الدولة أصبح سلاحاً ذا حدين . فلو قدر لهم النجاح هناك فان الشعب السوفيتى سوف تتاح له الفرصة ليكون أقوى شعب على وجه الأرض . أما إذا تحول ماوتسى تونج إلى تيتو آخر فى الشرق فان ذلك يكفى لهدم أحلام السوفيتيين فى إنشاء « الامبراطورية العالمية » .

ونتيجة للظروف السائدة الآن فى الصين يبدو أنه من غير المتوقع أن تنتشر النزعة والمبادىء التيتوية فى الصين . فاذا كان الغرب مهتماً بتنمية هـــذه المبادىء هناك ، فان الواجب يحتم على الصحافة الغربية أن تتأكد من أن الأدلة التى تسوقها عندما تتهم الاتحـــاد السوفيتى بالتدخل فى شئون الصين قوية سليمة لا غبار عليها . ثم عليها بعد ذلك أن تتأكد من أن هذه الأدلة تصل فعلا إلى الشعب الصينى ... وذلك لأن الصحافة السوفيتية على درجة كبيرة من الحساسية لمثل هذا النوع من النقد .

ومما له دلالة قوية أن ماوتسى تونج لا يزال يربط الصين بعجلة الاتحـاد السوفيتى ، ويظهر ذلك جلياً من كلمته التى صرح بها فى ٢٤ يونيه عام ١٩٥٠ ، وهو اليوم السابق لاحتلال كوريا الجنوبية ، والتى نشرت فى برافدا فى ٢٥ يونيه عام ١٩٥٠ فقد قال « لكيما نحصل على هدفنا الأعلى وسط هذا الصراع القائم على المسرح العالمى



يبذل زعماء الصين الشيوعية قصارى جهودهم لصبغ الشعب الصينى بالصبغة الروسية..
فهم يلقون المحاضرات ويعلمون الشعب كيف يتذوقون الثقافة الروسية

يجب علينا أن نتحد اتحاداً قوياً مع الاتحاد السوفيتى ومع مختلف دول الديمقراطيات الشعبية ، وشتى الشعوب الديمقراطية المحبة للسلام فى جميع أنحاء العالم . وبمقتضى هذه السياسة فانه لا يكون أمامنا محل لأى تردد أو تراجع» .

الفصل الثامن

الدفاع المدنى فى الاتحاد السوفيتى

فى عام ١٩٤٨ . وهو العام الذي بدأت فيه الحرب الباردة ، أخذت الحكومة السوفيتية تهتم اهتماماً غير عادى بالدفاع المدنى الذى كان شعور الشعب السوفيتى نحوه متبلداً . وصاحب هذا الاهتمام بشئون الدفاع المدنى ظهور مجلة دورية جديدة . اسمها « العلوم الحربية » ، أزاحت زميلتها « زا أوبورنو» (نحو الدفاع) وحلت محلها .

ومنذ بداية عام ١٩٤٩ لم يسمح لهذه المجلة بالتوزيع خارج الاتحاد السوفيتى . بل ولم تجدد اشتراكاتها القائمة . ومن المظنون أن إدخال كثير من مقالاتها ضمن مجموعة « تراجم الصحافة السوفيتية » والتى كانت السبب فى إثارة كثير من الأسئلة والتعليقات فى أمريكا قد يكون له علاقة بقرار إيقاف الاشتراكات خارج الاتحاد السوفيتى . ومما يذكر فى هذا الصدد أن عدداً من الصحف السوفيتية بما فيها

صحيفة النجمة الحمراء اللسان الرسمى للجيش السوڤيتى لا يسمح لها بالتداول خارج الاتحاد السوڤيتى على الرغم من أنها شائعة داخله .

وكانت هناك حركة أخرى تساير الحملة الجديدة نحو الدفاع المدنى. فنى عام ١٩٤٨ أرغمت جحافل جرارة من الشعب السوڤييتى على الانضمام إلى الهيئات الجديدة الخاصة بالدفاع المدنى وهى « دوزارم » ، « دوزاف » ، « دوسفلوت » والأولى هى جمعية المتطوعين لمساعدة الجيش . أما الأخريان فتقومان بنفس الوظيفة لمساعدة كل من السلاحين الجوى والبحرى على الترتيب . وقد كانت مدينة لينجراد المثل الذى احتذته جميع المدن الأخرى . فقد أقامت منظمات قوية وظيفتها مساعدة الفروع الثلاثة للقوات المسلحة . ولم يعلن عن أى رقم يدل على عدد الأعضاء الذين انضموا إلى هذه الهيئات . ولكن ذكر فى عام ١٩٤٨ أن عشرة آلاف من المواطنين السوڤيتيين قد انضموا إلى « دوسفلوت» فى أوكرانيا وحدها . بينما أنشىء هناك ١٠٠٠ مركز إضافى للمساعدة .

والحقيقة الهامة التى تستحق التسجيل هى أن الحكومة السوڤيتية فى بداية عام ١٩٤٨ اتخذت إجراءات فعالة لتسجيل أسماء القادرين من المدنيين فى إحدى الهيئات الثلاث وعلى الأخص الشبـان منهم والمسرحين من الحرب . ومنذ بداية الوقت وفروع الهيئات الثلاث القائمة فى كل مدينة سوڤيتية تقدم للمواطنين السوڤيتيين ما يحتاجونه من التدريب الحربى الأساسى فى البر والجو والبحر . كما تقدم الخدمات

للوحدات النظامية للقوات المسلحة المعسكرة فى الضواحى . كذلك تعد الجموع الغفيرة من الشعب السوفيتى لمقابلة الطوارىء .

وقد وجهت الهيئات الثلاث (دوزارم ، دوزاف ، دوسفلوت) اهتماماً خاصاً لتدعيم وتحسين النشاط الرياضى السوفيتى . فقد أشارت « مجلة العلوم الحربية » فى عدد سبتمبر عام ١٩٤٨ إلى أنه « يجب أن تتسم جميع أنواع النشاط الرياضى لهيئة « الدوزارم » بطابع واضح من التربية الحربية والتدريب الحربى » ، فهى لذلك تدرب أعضاءها ليكونوا مهرة فى الرماية ، وركوب الخيل وقيادة العربات والدراجات البخارية وفى صنع آلات اللاسلكى ، عدا المهارة الممتازة فى التزحلق على الثلوج أيضاً .

ومن الأدلة على الاتجاه العسكرى لهذه الرياضة أن سباق الموتوسكلات الذى نظمته هيئة دوزارم فى سنة ١٩٤٨ لم يجر على أرض ممهدة . وإنما اختيرت له أرض وعرة يعترضها كثير من المعوقات المائية وتحت ظروف تكاد تشبه الظروف المألوفة فى الحرب .

أما فى « القرم » فقد تسلق راكبو الموتوسكلات من هيئة دوزارم جبل رومان — كوشى . وفى الأورال قامت فرقة من السيارات الحربية بدورة مبتدئة من سفرولفسك ثم انتهت إلى تشيليابنسك .

وبالمثل أدخلت هيئة الدوسفلوت الألعاب المائية ودربت المرشدين فى الأنهار والشواطىء والميكانيكيين وغيرهم من الاخصائيين . كما

نظمت رحلات نهرية وبحرية . وكان هدف الهيئات الثلاث جذب المسرحين من الحرب اليها ليلقنوا الأعضاء ما قد كسبوه من تجارب فى الحرب العالمية الثانية ولكى يتمكنوا أيضاً من تجديد هذه التجارب لتصبح حديثة منتجة لاستمرار الدراسة .

وبالإضافة إلى النشاط الرياضى والمسابقات التى تنظمها هذه الهيئات الثلاث يجب أن نؤكد أن الرياضة السوفيتية على وجه العموم قد طبعت بحيث تهدف إلى أغراض حربية . وبمعنى آخر فانه لا يوجد اليوم فى الاتحاد السوفيتى أى نشاط رياضى بحت ، فقد نشرت صحيفة برافدا مثلا خبراً وصل إليها من كازان فى ٢٩ يناير عام ١٩٥٠ جاء فيه أن طلبة من معهد بومان للطب البيطرى هناك كانوا يقومون بالزحلقة على الجليد من كازان إلى أوفا ، وأنهم كانوا يلقون المحاضرات والأحاديث أثناء الطريق عن دستور ستالين والقوانين السوفيتية للإنتخابات وما كسبه إقليم التتار المستقل فى ظل الحكم السوفيتى .

وقد وضعت الألعاب الرياضية أساساً لتخلق شعباً منتجاً صحياً قادراً على أن يصمد أمام الصعاب ويكون أحسن استعداداً « للعمل والدفاع » وتنتظر الحكومة من الهيئات الرياضية أن تتأكد هذه من أن كل رياضى يبذل بالفعل غاية جهده الرياضى تماماً كما يحدث فى المصانع والمزارع . وعندئذ يتسلم الرياضى شارة « الكومسمول » ومعناها « مستعد للعمل والدفاع » .

وقد طلب حتى من نقابات العمال السوفيتية أن تقود نشاط جمعيات وجماعات الثقافة البدنية بغرض جعل الألعاب الرياضية جزءاً لا يتجزأ من التربية الشيوعية للعمال . ولقد سبق عمال المصانع فى إقليمى دوباس وكوزباس إلى الانضمام إلى الألعاب الرياضية ومنظمات الثقافة البدنية ليمارسوا نوعاً من التدريب فى أوقات فراغهم . وفى عام ١٩٥١ أكثرت الصحف السوفيتية من نشر أخبار النشاط الرياضى من كرة القدم وكرة السلة إلى المسابقات الطويلة ومباريات التنس .

واتضح ذلك مما تنشره المجلة الشعبية « اجو نيوك » المصورة الأسبوعية فقد خصصت قسما ثابتاً لأخبار الرياضة .

هذا وقد ظهر الاتجاه السوفيتى كذلك نحو الألعاب الرياضية فى مقال عن « الصيد » نشر فى صحيفة براقدا فى ١١ أبريل عام ١٩٤٨ وكتبه م . كوزنتشوف « مدير الإدارة المركزية للحياة الشاقة » فى مجلس وزراء الاتحاد الروسى . فقد أوضح أن الصيد ليس « بالرياضة التافهة » ولكنه أمر هام للدولة . ويجب أن يمارسه الملايين من المواطنين السوفيتيين . وقد أكد مقاله ما برهن عليه الرماة من الصيادين السيبيريين من مهارة فى الحرب الأخيرة . وقصارى القول فانه من الواضح أن الحكومة السوفيتية لا تعتبر الصيد نوعاً من الرياضة فحسب وإنما تعتبره استعداداً من الطراز الأول لحرب العصابات .

ومما كان له أهمية خاصة ذلك التقرير الذى ظهر حديثاً فى صحيفة

« اجو نيوك » فى العدد السادس عشر فى ابريل عام ١٩٥٠ عن برنامج الألعاب الرياضية لصيف عام ١٩٥٠ .

وليس من الضرورى أن يكون المرء جندياً حربياً لكى يلاحظ فى هذا التقرير أن كثيراً من الألعاب الكبيرة والمسابقات قد نظمت بحيث تقوم فى مراكز استراتيجية قوية على طول شاطىء البحر الأسود من سوتشى إلى باطوم ؛ وعلى بحر قزوين عند باكو ، وفى المنطقة البلطيقية عند قلنا . كذلك فى المدن الشهيرة الأخرى فى الاتحاد .

ولم يقتصر الاهتمام بالألعاب الرياضية على روسيا الأوروبية فحسب . فان الأقاليم الاسيوية الوسطى تقوم كذلك بألعابها أومسابقاتها فى مدينة « الماراتا » فى جنوب كازاخستان بالقرب من حدود سنكيانج . وقد جاء تقرير من ازبجستان — وهى قلعة الاشتراكية فى الشرق حيث افتتح موسم عام ١٩٥٠ للألعاب الرياضية — يقول إن عدد جموع الرياضيين آخذ فى الازدياد سنة بعد أخرى . وأن هذه الجموع لا تقتصر على الرجال فقط بل تشمل النساء من إقليم أزبك كذلك .

وفى وسعنا أن نتوقع ورود تقارير مماثلة من الصين الشيوعية عن ازدياد نسبة الرياضيين .

الفصل التاسع

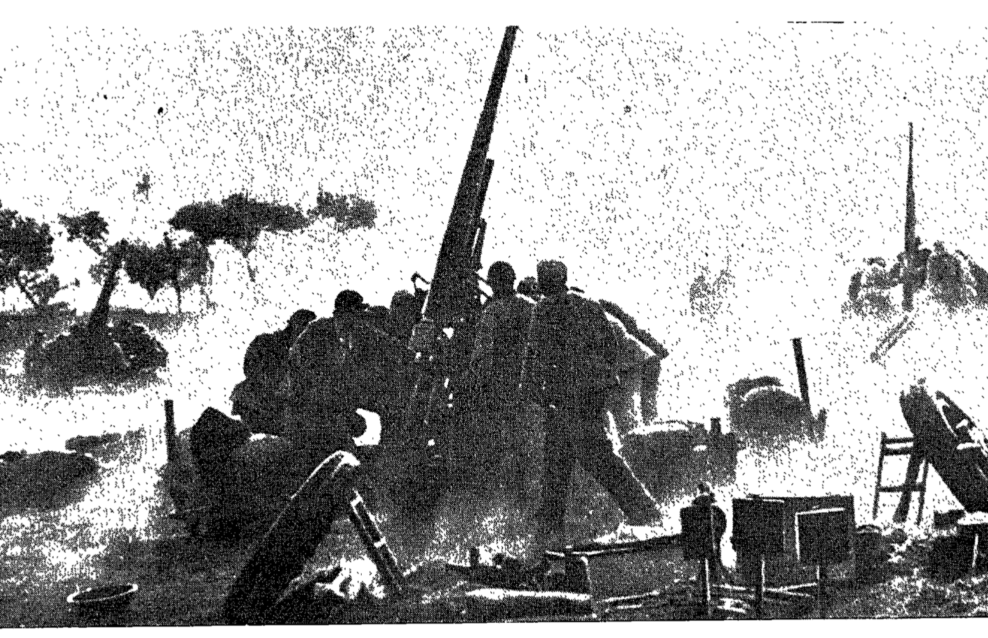
الحملة السوفيتية من اجل السلام

كان عام ١٩٤٩ بداية للحملة السوفيتية الكبيرة من أجل السلام فى تاريخ الاتحاد السوفيتى . ولا شك أن الاتحاد السوفيتى قد أصبح منذ ذلك الحين « بطل السلام » فى نظر الشعب السوفيتى وبعض الشعوب الأخرى التى تتهم الدول الغربية بأنها «تدفع العالم إلى حرب جديدة »

وقد نشرت الصحف السوفيتية مقالين اشتملا على النقط الأساسية لهذه الحملة . فأحدهما وعنوانه « الحركة التى لا تقهر لحماة السلام » ظهر فى جريدة « بولشفيك » فى العدد رقم ٢ ليناير عام ١٩٥٠ ، والآخر وعنوانه « نحو السلام » كتبه الصحفى والروائى الشهير ايليا اهرنبرج ونشر فى جريدة برافدا فى ٢٦ فبراير عام ١٩٥٠ ، وتعتبر الصحيفتان مصدرين مقدسين . فالأولى هى اللسان الرسمى للمكتب السياسى الروسى (بوليتبيرو) ، والثانية للحزب الشيوعى .

وكان من أهم الأغراض للحملة ــ وهو ماتسميه جريدة البولشفيك « بالصراع المقدس » ــ إقناع الشعب السوفيتى وحلفائه بأن الواقع سوف يثبت أن الاتحاد السوفيتى بذل كل ما فى وسعه من أجل السلام وخطر استخدام الأسلحة الذرية ومنع التسلح فى العالم . وقد عرف القادة السوفيتيون مدى أثر هذا البرنامج على غالبية الشعب ، إذ أن الحكومة السوفيتية قد حكمت البلاد منذ عام ١٩١٧ على أساس العيش فى ظل السلام . كذلك يجب ملاحظة أنه بينما ظل الاتحاد السوفيتى يتحدث منذ ربيع عام ١٩٤٩ عن السلام بلهجة لم يستعملها من قبل فانه كان مستمراً فعلا فى الاستعداد للحرب على نطاق واسع . وعلى العكس من ذلك كان المتحدثون الرسميون فى الولايات المتحدة لا يتحدثون عن السلام بقدر ما كانوا يتحدثون عن الحرب الباردة . ومع ذلك فان استعداد أمريكا العسكرى لا يزال أضعف مما ينبغى أن يكون عليه لصد الشيوعية .

ولكى يؤكد الاتحاد السوفيتى حملة السلام خارج حدوده قام فى عام ١٩٤٩ يزف البشرى إلى العالم كله بتزعمه الحركة المسماة بحركة « أنصار السلام » . ولقد كان لهذه الحركة قوة ظاهرة بنوع خاص فى كل من فرنسا وإيطاليا كما عقد « أنصار السلام » مؤتمرات فى الصين والهند واليابان والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وكوبا والمكسيك والبرازيل ، وقد أنشئت جريدة « أنصار السلام » لتكون لسان الدعاية



وفى الوقت الذى يتحدث فيه الاتحاد السوفيتى عن السلام ، تجرى الاستعدادات للحرب على قدم وساق

الرسمى لهذه الحركة السوفيتية وذلك فى أغسطس عام ١٩٤٩ . وقد قالت جريدة البولشفيك فى مايو عام ١٩٥٠ إن الجريدة المذكورة توزع فى سبعين دولة وباللغات الألمانية والانجليزية والصينية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية والروسية وأنها سوف تنشر فيما بعد باللغتين الإيطالية والعربية .

والغرض من هذه الجريدة هو التظاهر بالعمل على منع الحرب أو على الأقل تأجيلها . ومن ثم مهاجمة الدول الغربية وإظهارها بمظهر الدول الاستبدادية ، لتخلق بذلك الانحلال والتفكك بين ممالكها ولكى توهن من الخطط الأمريكية لتسليح غيرها من الأمم الأوروبية والاسيوية .

ومن أهم وجوه برنامج حركة « أنصار السلام » كما بينته جريدة البولشفيك ، اجتذاب نقابات العمال والجماعات التربوية والثقافية والنسوية والهيئات الدينية أيضاً . وتسير مع هذه الحركة جنباً إلى جنب حركة أخرى هى للهيئات الدينية كذلك . ومما يسير مع هذه الحركة أيضا « جوائز ستالين الجديدة للسلام العالمى » — وقد جعلتها الحكومة السوفيتية ندا لجوائز نوبل — وقد وضعت هذه الجوائز بمناسبة الاحتفال ببلوغ ستالين السبعين من عمره وهى تمنح فى ديسمبر من كل عام لكل مواطن فى أى دولة فى العالم بصرف النظر عن الفوارق

السياسية أو الدينية أو العنصرية . ويمكن ملاحظة أهمية هذه الخطوة مما جاء بدستور ستالين . فبينما نصت المادة رقم ١٢٩ منه على إيواء اللاجئين الأجانب الذين يهربون من بلادهم بسبب دفاعهم عن حقوق الطبقة العاملة أو قيامهم بالنشاط العلمى أو الكفاح من أجل تحرير بلادهم ، فانه لم يرد فى هذا الدستور أى شىء عن منح حق الالتجاء لمن يهربون بسبب الاضطهاد الدينى .

ومن هنا يتضح أن الروس قد اكتشفوا خلال سنى الحرب مدى أثر الكنائس فى الخارج فى نشر الدعوة للسلام . ولا شك أنهم أدركوا أيضاً أنه فى وسعهم استغلال الكنيسة الروسية الأرثوذكسية فى سياستهم الخارجية وخاصة فى البلقان . وفوق ذلك فان القادة السوفيتيين قد أصبحوا يهتمون اهتماماً عظيماً بالشرقين الأدنى والأوسط حيث يتعمق الشعور الدينى فى نفوس السكان . وعلى هذا فيبدو عليهم أنهم أخذوا يغيرون سياستهم نحو كل الطوائف الدينية مثل الكاثوليك والبروتستانت والمسلمين والبوذيين وغيرهم مما يساعدهم فى حملة الدعوة إلى السلام .

ويجب أن نسلم بأن وسائل الدعاية للحملة السوفيتية للسلام متقنة غاية الإتقان ، ومقنعة إلى حد كبير ، وعلى الأقل من وجهتى النظر الأوربية والشرقية . وأحد الأسباب فى ذلك من غير شك أن

الكتاب الذين يستخدمون فى ذلك أمثال ايليا اهرنبرج كانوا أول من لمسوا أهوال الحرب ، وأنهم هم أنفسهم — لفرط خديعتهم — مقتنعون باخلاص الحملة .

ويبدو أن الحكومة السوفيتية فى حاجة إلى الابقاء على السلام — إذا كان ذلك ممكناً — لمدة عامين على الأقل وذلك لعدة أسباب منها أنها ما زالت تأمل أن تحقق عن طريق السلم ما لا تتمكن من تحقيقه عن طريق الحرب ، وأنها تتوقع أن تلتئم جراحها من الحرب الماضية وأن تصبح قوية بحيث يمكنها خوض أى حرب سواء أكانت هجومية أم دفاعية . كما أن القواد السوفييت يتوقعون أن يفرغ ماوتسى تونج من أداء مهمته فى الشرق . وأخيراً فانهم يريدون إقناع الرأى العام العالمى بأن الزمن كفيل بابعاد الولايات المتحدة الأمريكية عن الأسواق الخارجية . وبذلك تتفاقم فيها الأزمة الاقتصادية التى تنبأ الشيوعيون خطأ بحدوثها فى عام ١٩٤٩ .

هذا وقد كان الهدف الرئيسى الذى ينشده الاتحاد السوفييتى من وراء حملة السلام هو العمل على تقسيم العالم بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى . ولما لم يكن الأمريكيون قد استعدوا لمثل هذا النوع من المساومة ، التى تعتبر « تراجعاً » وانتكاساً ، فان القادة السوفيت يقصدون الآن — إذا أمكنهم ذلك — فرض هذا السلام على المعسكر الغربى .

ويقدر البلشفيون أن ولاياتهم الست عشرة ومعها شعوب الكومينفورم فى أوروبا ومنغوليا وكوريا والجمهوريات الصينية فى آسيا تكون معسكراً قوامه حوالى ٨٠٠و٠٠٠و٠٠٠ نفس . وهو عدد أكبر مما فى الديمقراطيات الغربية . ومما يجدر ذكره أن الصحف السوفيتية لا تزال توجه اهتماماً زائداً إلى القوة الآدمية التى فى جانبها أكثر مما توجهه إلى القواعد والحدود الحربية . وذلك منذ قيام حركة السلام . ويقول ايليا اهرنبرج أن فى حوزة أمريكا قواداً كثيرين يعملون فى حلف الاطلنطى . ولكن عدد الجنود قليل ولا يعتمد عليه .

هذا ولما (١) نفد صبر بعض الأمريكيين أمام الفشل الذى أصاب منظمة الأمم المتحدة نتيجة للجو المعوق الذى خيم عليها أخذوا يناصرون فكرة إخراج الاتحاد السوفيتى من هذه الهيئة أو أعربوا صراحة عن أملهم فى أنه قد ينسحب منها من تلقاء نفسه وذلك لكى تتمكن الديمقراطيات من توطيد أركان السلام بين أممها بدون اشتراك الاتحاد السوفيتى فى ذلك . وقد أشارت الصحف السوفيتية بمناسبة فكرة إخراج الاتحاد السوفيتى وانسحابه إلى أن هذا الاتحاد السوفيتى والدول التابعة له أصبح فى مركز يتمكن فيه من تكوين هيئة للأمم الشيوعية تكون أكثر تمثيلا لشعوب العالم من هيئة الأمم المتحدة نفسها .

---

(١) كان ذلك فى عام ١٩٥٠ وقد تضاءل الان عدد الامريكيين الذين يطالبون باخراج الاتحاد السوفييتى من الامم المتحدة.

ويبدو أن هذا الاتجاه بالذات كان سبباً فى الخوف الذى سرى فى نفس تريجفى لى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ، كما كان السبب فى سفره إلى موسكو فى يونيه سنة ١٩٥٠ لعله يجد ما يساعده على وضع حد للجو المعوق القائم فى الهيئة .

ومن الواضح أن انسحاب الاتحاد السوفيتى من الأمم المتحدة أو إرغامه على الانسحاب منها ، من شأنه أن يؤدى إلى تقسيم العالم بين الكتلتين الغربية والشرقية ، الأمر الذى يتمشى مع السياسة السوفيتية . أو بعبارة أخرى فان هذا الوضع سوف يفرض على العالم الأهداف التى ينشرها السوفييت ويتعللون من أجلها بالسلام .

ولقد اندفع الروس وراء حملتهم للسلام ، التى شنوها فى عام ١٩٥٠ بحماس فاق ذلك الذى أظهروه فى عام ١٩٤٩ ، وقدموا إلى المؤتمر الدائم لأنصار السلام العالمى فى استوكهلم توقيعات لأكثر من ٠٠٠و٠٠٠و٣٠٠ شخص من داخل الاتحاد السوفيتى وخارجه يطالبون بحظر استعمال الأسلحة الذرية .

ومن (١) رأى المؤلف أن ستالين هو العامل الأساسى فى منع الحرب .

---

(١) كان رأى المؤلف فى ذلك الحين مستندا الى الاتجاهات التى كانت سائدة فى الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٥٠ .

ويبدو أن تطورات الموقف الدولى فرضت على « مالنكوف » الذى خلف ستالين أن يسير على نفس النهج الذى نهجه ستالين فى دعوته للسلام ، ما دام اصطناع الدفاع عن السلام يخدم أغراض الاتحاد السوفيتى .

فاذا ما قدر له الموت قبل أن تصل الأمور إلى حالة الاستقرار بين الشرق والغرب فان الموقف سوف يستدعى النظر إليه من جديد وذلك لأن القادة السوفيتيين الآخرين أقل ميلا للمساومة أوالعيش فى سلام . فهم — بما فى ذلك مولوتوف ذلك الروسى الأصيل — أميل إلى المخاطرة من السير على هدى السياسة التى رسمها ستالين لتحقيق النصر المطلق بالطرق السلمية .

الفصل العاشر

كوريا والادعاءات السوفيتية فى الحرب

عندما وقع العدوان الشيوعى على كوريا الجنوبية فى يونيو عام ١٩٥٠ ، عمد المعتدون على الفور إلى التنصل من المسئولية وإلقائها على غيرهم .

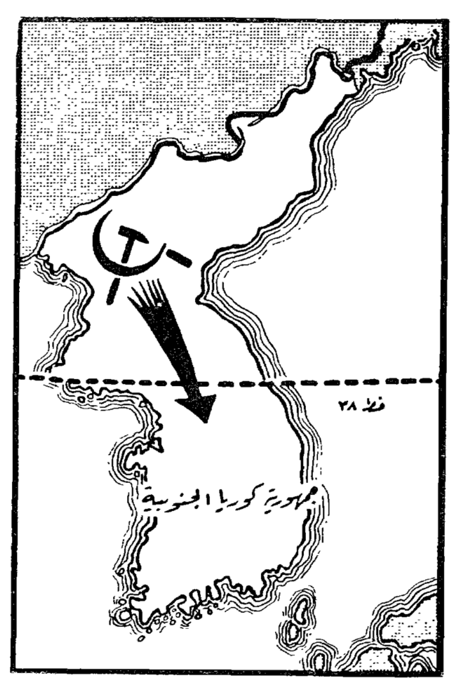
فقد ألقت الحكومة السوفيتية — عن طريق صحافتها — مسئولية الحرب على الولايات المتحدة . وهذه الادعاءات التى قامت ضد أمريكا لم تنشر داخل الستار الحديدى فحسب بل تعدتها إلى جميع البلاد الأسيوية . ولكى ندرك مدى ما فى هذه الادعاءات والمزاعم من افتئات على الحقيقة ، ينبغى علينا أن نعرف نوايا روسيا الحقيقية .

وعلى الرغم من أن غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية فى ٢٥ يونية عام ١٩٥٠ كان مفاجأة لأمريكا فان الصحافة السوفيتية فى ذلك الحين نشرت ما يوحى باتجاه النية إلى زحف كوريا الشمالية نحو كوريا الجنوبية . فمثلا نشر الكاتب السوفييتى ب . ايفانوف مقالا فى صحيفة

براﭬﺪا تحت عنوان « الانتخابات فى كوريا الشمالية » فى نوفمبر عام ١٩٤٦ تناول فيها ما يتبع فى هذه الانتخابات من نظم تضمن إنشـــاء ولاية كورية مستقلة ، وحكومة كورية ديمقراطية ، وإصلاح الأراضى فى جميع أنحاء كوريا ، وتأميم الصناعة والتجارة والبنوك والمؤسسات المـــالية فى كوريا — وهى التى كانت تابعة من قبل لليابانيين والخونة من الـكوريين — ووضع نظم جديدة للتعليم شبيهة بتلك النظم السائدة فى الشمال .

وقد أوضحت الصحافة السوفيتية أن اتحاد جزئى كوريا الشمالى والجنوبى لخلق كوريا الموحدة ليس سوى مسألة وقت . وفى أثناء الانتخابات التى أجريت فى أغسطس عام ١٩٤٨ لاختيار ممثلى المجلس الشعبى الأعلى الذى صدق على دستور الجمهورية الـــكورية الديمقراطية (كوريا الشمالية) قام ٣٦٠ نائباً بتمثيل سكان كوريا الجنوبية (عن طريق الانتخاب غير المباشر فى كوريا الجنوبية) ، كما مثل ٢١٢ نائباً سكان كوريا الشمالية . وكانت هذه هى حكومة الشعب الصورية التى طالبت على الفور بجلاء القوات الأمريكية والسوفيتية على السواء من كوريا بأجمعها .

ووضحت نوايا الاتحاد السوفييتى إزاء كوريا الجنوبية وضوحاً كافياً على أثر بيان من وكالة تاس ورد من بيونج يانج ونشر فى ازفستيا فى ١٠ يونية عام ١٩٥٠ تحت عنوان « نحو كوريا ديمقراطية متحدة » ،



وفى ٢٥ يونيو ١٩٥٠ اعتدى الشيوعيون فى كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية فنشبت الحرب الكورية .. وكانت هذه الحرب مفاجاة للامريكيين ..

ومع أن هذا البيان ـ وقد نشر قبل الغزو بأسبوعين ـ عبر عن رغبة كوريا الشمالية فى السلام وتطوعها للإتحاد ، فانه كشف مصادفة عن موعد تحرير كوريا . فقد أشارت « ازفستيا » إلى أن هذا التحرير سيتم ما بين ٥ – ٨ من أغسطس عام ١٩٥٠ ، وهو الموعد الذى كان مزمعاً أن تجرى فيه انتخابات واسعة لاختيار جمعية تشريعية لكوريا الموحدة . وحدد يوم ١٥ أغسطس – وهو العيد الخامس لتحرير كوريا من الاحتلال اليابانى – لإعلان قيام كوريا المتحدة في سيول عاصمة البلاد . وقد أعادت « برافدا » نشر هذا النبأ فى ٢١ يونية عام ١٩٥٠ وقد تغيرت لهجة الصحافة السوفيتية منذ أعلن الرئيس كيم ايل سنج فى ٢٦ يونيه عام ١٩٥٠ نداءه على الشعب الكورى (وقد نشرته صحيفة برافدا فى ٢٧ يونيه عام ١٩٥٠) معلناً أن الأوامر قد صدرت إلى جيش كوريا الشمالية لصد هجوم شنته جيوش سنجمان رى . فحاولت فى عدة مقالات نشرتها أن ترجع سبب قيام الحرب إلى مسلك حكومة كوريا الجنوبية وما أسمته مستشاريها الأمريكيين . ووجهت الصحف السوفيتية النقد إلى صحف نيويورك تيمس وهيرالد تريبيون وكريستيان ساينس مونيتور لتأييدها ما أسمته الاتجاه العدوانى لكوريا الجنوبية .

وقد حاول أندريه جروميكو نائب وزير الخارجية السوفيتية فى تصريح رسمى نشرته صحيفة برافدا فى ٤ يوليو عام ١٩٥٠ أن يثبت

أن هجوم كوريا الجنوبيـــة (المزعوم) على كوريا الشمالية كان مدبراً منذ وقت بعيد . ولفت جروميكو فى هـــذا التصريح الأنظار إلى حديث سبق أن أدلى به سينجمان رى لأحـد مراسلى الصحافة المتحدة فى ٧ أكتوبر عام ١٩٤٩ ، وجاء فيه أن فى مقدور قواته الاستيلاء على بيونج يانج عاصمة كوريا الشمالية فى ظرف ثلاثة أيام ... كذلك أشار جروميكو إلى أن سينجمان رى قد أعلن فى ١٩ يونيه عام ١٩٥٠ فى بيان رسمى ألقاه فى الجمعية الوطنية بكوريا الجنوبية وبحضور مستر فوستر دالاس المستشار الأمريكى ، وقال فيه « إذا كنا عاجزين عن حماية الديمقراطية بالحرب الباردة . فسوف ننتصر فى الحرب الساخنة » .

وفى محاولة أخرى أريد بها إلصاق تهمة الحرب بكوريا الجنوبية وبأمريكا اقتبست صحيفة ازفستيا بعض ما صرح به الجنرال روبرتس رئيس البعثة الحربية الأمريكية فى كوريا الجنوبية فى حديث صحفى نشر له فى الهرالد تريبيون فى ٥ يونيه عام ١٩٥٠ . فقالت ازفستيا تحت عنوان « محاولات فاشلة للتضليل » إن الجنرال روبرتس تفاخر بأن المستشارين العسكريين الأمريكيين فى كوريا الجنوبية « لديهم ما يثبت أن فى مقدور ٥٠٠ جندى وضابط أمريكى تدريب ١٠٠٫٠٠٠ رجل ليحاربوا من أجلنا » .

وقد استغلت الصحف السوفيتية على نطاق واسع صورة لجون فوستر دالاس ومعه نفــر من المستشارين العسكريين الأمريكيين

والسفير الأمريكى ميوكيو (Muccio) وهم يدرسون خرائط كوريا الشمالية . وقد فسر السوفيتيون زيارة دالاس لكوريا فى يونية وزيارة جونسون وزير الدفاع وكذلك زيارة برادلى لليابان ، على أنها كانت إشارة ببدء هجوم كوريا الجنوبية (المزعوم) على كوريا الشمالية .

ولما انتهت الحكومة السوفيتية من إلقاء مسئولية الحرب على أمريكا بدأت تثبت ما أسمته التدخل الأمريكى غير المشروع تحت ستار الأمم المتحدة . فقد صرح جروميكو لإثبات ذلك « بأن الإجراء الذى اتخذته الولايات المتحدة بالتدخل لوقف الحرب الكورية قد سبق قرار مجلس الأمن . كما أن موافقة الأمم المتحدة على التدخل الأمريكى قد خالفت المادة ٢٧ من دستور هذه الهيئة إذ أن هذه المادة تنص على ضرورة موافقة سبعة أعضاء بما فيهم الأعضاء الدائمون . وأن التصويت قد تم أثناء غياب مندوب الاتحاد السوفيتى وأثناء استبعاد الحكومة الشرعية للصين الشيوعية من مجلس الأمن »

وقال جروميكو إن ما حدث فى كوريا لا يزيد على كونه مسألة داخلية تهدف إلى اتحاد الشعب الكورى ، الأمر الذى لا يدخل فى نطاق اختصاص الأمم المتحدة وأن مجلس الامن والسكرتير العام لم يبذلا أى مجهود لوقف النزاع قبل أن تلجأ الأمم المتحدة إلى استعمال القوة ، وأن تريجفى لى بدلا من أن يراجع دستور الهيئة ساعد على خرق هذا الدستور .

وأشار جروميكو إلى أن « ضغط أمريكا على الأمم المتحدة جعل منها مصلحة أمريكية وأداة خاضعة للحكومة الأمريكية » .

وتعرض جروميكو بعد ذلك لمسائل أبعد أثراً على الشرق الأقصى من مجرد المناقشات القانونية ، فحاول أن يثبت ما أسماه الأثر السيء للتدخل الحربى الأمريكى فى كوريا ومسئولية أمريكا فى الآثار التى ترتبت عليه ، وقال عن الإجراء الأمريكى فى كوريا إنه من النوع الذى قام به اليابانيون فى عام ١٩٣٧ عندما تدخلوا فى شئون الصين بحجة العمل على استتباب الأمن واحترام القوانين . ثم اتهم جروميكو أمريكا بأن هدفها الحقيقى هو الاستيلاء على كوريا وجعلها قاعدة ومستعمرة حربية فى الشرق الأقصى .

ولما كان الاتحاد السوفيتى قد حدد وجهة نظره فى الموقف الكورى من أنه حرب أهلية تهدف إلى اتحاد وطنى ، فقد أخذ جروميكو فى مقارنة التدخل الأمريكى هناك بما قام به الإنجليز من مساعدة الجنوب فى محاولتهم لدرء أحداث التفكك فى الحرب الأهلية الأمريكية وبتدخل الحلفاء فى شئون روسيا عقب الثورة البلشفية .

ومنذ أن وصفت الحكومة السوفيتية أمريكا بأنها أكبر عائق لاتحاد الكوريين أخذت تصم الولايات المتحدة الأمريكية بأنها أكبر معتد فى الشرق كله . وفى سبيل ذلك اعتبر جروميكو قرار أمريكا لحماية فورموزا اعتداء صريحاً على الصين الشيوعية ، كما اعتبر مساعدة أمريكا للفلبين

محاولة لجعل هذه البلاد مستعمرة تابعة لأمريكا . وقال إن مساعدة أمريكا لفرنسا فى الهند الصينية تنطوى على اعتداء على أهل فيتنام .

وبالاختصار فان الصحافة السوفيتية حاولت أن تبرهن لآسيا على أن أمريكا بعد أن بينت هذا الاعتداء ، أعدت العدة لخلق اضطرابات أخرى فى بعض الأقاليم الاسيوية أو بالأحرى أنها تقوم بدور « رجل الجندرمة » فى الشرق . ومن هنا طالب جروميكو بأن تكف أمريكا عن التدخل فى مثل هذه الشئون وأن تسحب قواتها من كوريا .

وقد نشرت هذه البيانات بعد تلخيصها فى براقدا فى ٧ أغسطس عام ١٩٥٠ فى مقال افتتاحى عنوانه « الجهل بالقوانين الدولية » .

وقد أخذت الادعاءات تتابع ، كما عزز الإتحاد السوفيتى تفسيراته المضللة للحرب الكورية بسلسلة من المقالات نشرت فى أزفستيا فى ٩ أغسطس عام ١٩٥٠ لعدد من أساتذة الجامعة هم ايوجين تارل ، وا.ا. كورفين ، و ف. ل. كوزيفنيكوف أستاذ القانون الدولى فى جامعة موسكو . ولم يخرج ما قاله جاكوب مالك مندوب الاتحاد السوفيتى أمام مجلس الأمن فى أغسطس سنة ١٩٥٠ عما نشرته الصحف السوفيتية من قبل .

وعندما نالت الولايات المتحدة الأمريكية التأييد المطلق من العالم كنتيجة لقيادتها الحازمة لقمع الاعتداءات الشيوعية فى الشرق الأقصى ، أخذت الدعاية السوفيتية لوناً متطرفاً جداً . ولولا أن هذه الدعاية



وعندما ادانت الامم المتحدة كوريا الشمالية ، وفررت التدخل لانقاذ الموقف ، تحملت الولايات المتحدة العبء الاكبر في انقاذ كوريا . فحاول الاتحاد السوفياتي اكثر من مرة ان يثبت أن تدخل الامريكيين في الحرب الكورية لم يكن عملا مشروعا

كانت واسعة النطاق ومنتشرة فى كثير من الدول ، لنظرنا إليها نظرتنا إلى الخرافات .

ومن الغريب حقاً أن الصورة المشوهة التى رسمها الاتحاد السوفييتى لأمريكا عندما اعتبرها المعتدى الأول فى كوريا والشرق الأقصى ستظل ماثلة أمام أعين الملايين من الروس والأمم التى تسير فى فلك روسيا . وبالنظر إلى عدم تيسر نشر وجهة نظر الولايات المتحدة فى الدول الشيوعية ، فان الشعوب الشيوعية ـ حتى أولئك الذين حصلوا على قسط كبير من الذكاء لا يزالون يعتقدون أن كوريا الجنوبية ومن ورائها أمريكا تساعدها وتحرضها قد تسببت فى قيام الحرب الكورية .

ولا شك أن هذه الدعاية التى قامت ضد أمريكا قد أدخلت فى طبعات عام ١٩٥٠ للكتب الدراسية فى الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية والبلاد التى تجرى فى فلكهما .

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

مامدى خطر العقل الروسى؟

« العقل » هو أثمن ما أودعه الله فى جسم الانسان ... فهـــو القوة المحركة ، والاداة الواعية ، وخزانة الفكر التى لا ينضب معينها ، والضوء الذى يتوهج فيضىء الجسم كله .

ولكن هذا « العقل » سلاح ذو حدين .. فهو مضر بقدر ما هو نافع .. وهو مضلل بقدر ما هو مرشد ، وهو مخادع بقدر ما هو أمين ، وهو قادر على اطفاء شعلة الفكر المضيئة بقدر ما هو قادر على تبديد الظلمات بالنور ..

و « العقل » ليس قوة متحركة بذاتها . وانما ينفعل ويفكر وينتفض وفقا لما يودعه صاحبه من أفكار ونظريات واتجاهات وفلسفات .. فالرجـل المخادع يودع عقله طاقة كبيرة من أساليب الخداع .. والرجل المضـــلل يشحن عقله بشحنة لا تنفد من التضليل . كما أن الرجل الطيب يملأ أخاديد عقله تفكيرا طيبا ..

وعلى قدر ما أوتي الانسان من صفات طيبه أو خبيثة يكون عقله . ومن هنا كان عقل الفرد أو الجماعة ترجمانا صادقا عن نوايا هذا الفرد أو تلك الجمـــاعة .

وكتاب "خطر العقل الروسى" يفتح أبواب « العقل الروسي » الرسمى على مصراعيه ، فيكشف لنا نوع الافكار التى تعتمل فيه ، والنزعات التى تتملكه ، والاشعاعات التى تنبعث منه في شكل مقالات صحفية ، وتصريحات سياسية ، وخطط عسكرية ... كما أنه يكشف نوع المؤثرات التي أثرت في ذلك العقل فجعلته يتخذ هذا الموقف أو ذاك ، وكيف ينفذ فى عقول الافراد فيجعلهم يسلكون هذا الطريق أو ذاك ..

- فما هو مدى خطر العقل الروسى ؟
- وما هى الآثار التى انطبعت فى هذا العقل ؟
- وما موقف هذا العقل من أحداث العالم سواء وقعت فى كوريا أو جنوب شرق آسيا ، أو القوقاز ، أو البلقان ؟
- وما هو مدى فهمنا لهذا العقل ..

اقرأ هذا الكتاب .. ففيه الجواب على كل سؤال